بسم الله الرحمن الرحيم

الجـــنة والنـــار
بين
التكييف والتكليف

دكتـــور
حمدي عبد الله نافع
مدرس العقيدة والفلسفة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
بالإسكندرية جامعة الأزهر

تمهيد :

الحمد لله الذى أعد الجنة للمتقين والنار للكافرين والعاصيين ، والصلاة والسلام على خاتم رسله وأشرف خلقه الذى جاء مبشراً بالجنة ونعيمها ومرغباً فيها ، ومنذراً بالنار وأليمها ومحذراً ومرهباً بها ، وأصلى وأسلم على آل الرسول وصحبه ومن نهج نهجه وسار على هديه ممن أعدوا للأمر عدته ، وأخذوا له أهبته ، ﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾[1] .

وعلموا أن الأمر جد ، ولا نجاة من النار وسعيرها ولا فوز بالجنة ونعيمها إلا بالتشمير عن ساعد الجدّ . وبعد .

فإن الجنة والنار من الأمور السمعية التي تلقيناها عن طريق السمع ولا دليل لنا على شيء فيهما إلا ما ورد به نص من كتاب الله وسنة رسوله ، والجنة حق والنار حق فواجب على كل مسلم أن يؤمن بهما وبما فى الجنة من نعيم حق وما فى النار من عذاب دائم .

ولما كانت هذه القضية ثابتة بالنصوص السمعية كان على العلماء التوقف عند هذه النصوص وفهمها وبيانها للناس غير أنهم إتفقوا فى أشياء واختلفوا فى أخرى ، فاتفقوا على الإيمان بالجنة والنار وأن ما ورد بشأنهما حق وصدق ، واختلفوا فيهما من جهات متعددة منها : هل الجنة والنار موجودتان الآن أو يخلقهما الله تعالى يوم الجزاء ؟ ، وهل هى جنة واحدة أو جنان كثيرة ؟ وما حكمهما هل يبقيان أو يفنيان أو تبقى إحداهما وتفنى الأخرى ، وما هو مصير

---

(١) سورة الذاريات : ١٧ .

عصاة المؤمنين هل هم مخلدون فى النار ؟ أو إنهم يخرجون منها بعد أن ينالوا جزاءهم على ما اقترفوا من الآثام فى الدنيا ؟ وهل أطفال المشركين من أهل النار ، أو إنهم من أهل الفطرة ، وما كيفية نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار ، هذه كلها تساؤلات تدور فى خلد كل مسلم يريد أن يعرف إجابتها حتى يطمئن قلبه وتهدأ سريرته ويعلم أن ما غرسه فى الدنيا سينال جزاءه فى الآخرة .

وقد حاولت فى هذا البحث أن استقصى تلك الآراء ، وأرجح الراجح منها وأرد الضعيف باعتبار أن ذلك يتصل بأمرعقدى لدى كل مسلم . وهذا ما دفعنى لاختيار هذا الموضوع والكتابة فيه ، والله ولى التوفيق .

التعريف بالجنة والنار :

أولا : معنى الجنة :

الجنة فى اللغة : البستان قال " ابن منظور " : إن الجنة فى كلام العرب لابد أن يكون فيها نخل وعنب فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهى حديقة لا جنة .[1]

والجنة شرعاً : هى دار الثواب الجزيل ، والجزاء العظيم ، الذى أعده الله تعالى لأوليائه وأهل طاعته ، وهى نعيم كامل لا يشوبه نقص ، ولا يعكر صفوه كدر . وقد أعد الله فيها لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى فى الحديث القدسى « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ثم قال الرسول – صلى الله عليه وسلم : فاقرؤا إن شئتم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾ [2] .

لذلك كان دخول المؤمنين الجنة ونجاتهم من النار فى حكم الله وتقديره هو النصر المبين ، والفوز العظيم حيث قال تعالى : ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ [3] .

وقد ضمن الله لمن يطيعه ويطيع رسوله (ﷺ) أن يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار .

---

(١) لسان العرب . جـ١/٧٠٥ طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٧٩م .

(٢) الحديث رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء فى صفة الجنة / فتح البارى لابن حجر العسقلانى جـ٦/٣١٨ . طبعة المكتبة السلفية – القاهرة – الطبعة الأولى .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .

فقال تعالى : ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ﴾ (١) .

ثانياً : معنى النار :

النار فى اللغة : جسم لطيف محرق عند المماسة وعدم البلل (٢) .

والنار شرعاً : هى الدار التى أعدها الله للعصاة والكافرين المتمردين على شرع الله – تعالى – المكذبين لرسله الكرام ، وجعلها مصيراً لهم فى الآخرة .

وهى الخزى الكبير ، والخسران المبين ، قال تعالى : ﴿ ربنا إنك من تدخل النار فقد خزيته وما للظالمين من أنصار ﴾ (٣) وقال جل شأنه : ﴿ إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين ﴾ (٤) .

والجنة والنار من الأمور السمعية التى وردت فى الكتاب والسنة فيجب الإيمان بهما ، والتصديق بوجودهما .

---

(١) سورة النساء : الآية ١٣ .
(٢) المعجم الوسيط : جـ٢/٩٦٢ ط مجمع اللغة العربية – الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .
(٣) سورة آل عمران : ١٩٢ .
(٤) سورة الزمر : ١٥ .

الإيمان بالجنة والنار :

اتفق علماء المسلمين على أن الجنة والنار حق ولا ريب فيهما ولاشك . فقد وردتا على لسان الأنبياء والرسل جميعاً ، وذكرهما الله فيما أنزل من الكتب السماوية التى أنزلها على رسله الكرام ، وقد أفاض القرآن الكريم ، وأفاضت السنة النبوية المشرّفة فى ذكرهما وذكر ما فيهما من نعيم مقيم فى الجنة ، وعذاب وسعير مقيم فى النار مما يدل على أنهما داران حسيان أعدهما الله تعالى للإثابة والعقاب ولا نزاع بين المسلمين فى ثبوتهما ، فثبوتهما أمر معلوم من الدين بالضرورة ومنكرهما كافر .

والآيات والأحاديث الواردة بشأنهما كثيرة ومتعددة منها :

١ - قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون * يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون * يا أيها الذين آمنوا توبوا إلي الله توبة نصوحاً عسي ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ... ﴾ الآيات .[1]

٢ - وقال تعالى : ﴿ واتقوا النار التي أعدت للكافرين ، وأطيعوا الله ورسوله لعلكم ترحمون ، وسارعوا إلي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ... ﴾ الآيات .[2]

---

(١) سورة التحريم الآيات من : ٦ - ٨ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٤ .

وغيرهما من الآيات الكثيرة الشهيرة ، كلما يذكر الله تعالى الجنة يعطف عليها بذكر النار ، وكلما يذكر أهل النار عطف عليهم بذكر أهل الجنة ، فتارة يعد ويتوعد ، وتارة يرغب فى الجنة ويدعوا إليها ويرهب من النار ويحذر منها ، وتارة يخبر عما أعد فى الجنة من النعيم المقيم لأوليائه ، ويخبر عما أرصد فى النار من العذاب الأليم لأعدائه ... وغير ذلك .

٣ – ومنها : ما رواه الإمامان البخارى ومسلم فى صحيحهما بسندهما عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : كان النبى – ﷺ – إذا قام من الليل يتهجد قال « اللهم لك الحمد ، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق ، والجنة حق والنار حق ، والنبيون حق ومحمد – ﷺ – حق والساعة حق ... الحديث » .(١)

وقد روياه من طرق كثيرة بألفاظ متقاربة ، وفيه أن النبى – ﷺ – قرن الشهادة بحقية الجنة والنار مع الشهادة بحقية الله وحقية رسله عليهم – الصلاة والسلام – وحقية وعده الصادق وهما – الجنة والنار – وعده الصادق الذى أقسم – عز وجل – على صدقه وحقيته ووقوعه فى غير ما موضع فى كتابه .

٤ – ما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمر قال : حدثنى عمر بن الخطاب قال : بينما نحن مع رسول الله – ﷺ – إذ جاءه رجل فقال : يا رسول الله : ماالإيمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة ٥/٢٣٢٤ بلفظ مطول ، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢م .

وبالموت وبالبعث بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله خيره شره ... » قال صدقت[1] .... الخ الحديث .

وغير ذلك من الأحاديث الدالة على وجوب الإيمان والتصديق بالجنة والنار وأنهما حق ، فيجب شرعاً على المكلفين الإيمان بهما وأنهما داران حسيان أعدهما الله تعالى للجزاء فى الآخرة ولا ينكر ذلك ويؤول نصوصه إلا من كان ملحداً فى الدين خارجاً عن جماعة المسلمين .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ٣٧/١ مطولاً . ط دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبى بدون تاريخ .

الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن :

اتفق المسلمون على وجود الجنة والنار فى الآخرة . وأنهما داران حسيان ينعم المؤمنون المتقون فى الجنة – دار الثواب – نعيماً حسياً ، فينالون كل ما خطر ببالهم وتتجه إليه نفوسهم ، قال تعالى : ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾ [1] وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

ويعذب الكفار والفساق فى نار جهنم طعامهم من زقوم ، ويسقون من ماء الحميم يقطع أمعاءهم قال تعالى : ﴿ وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم ﴾ [2] هذا ما اتفق عليه المسلمون .

ولكنهم اختلفوا فى وجود الجنة والنار الآن على رأيين :

الرأى الأول : أنهما موجودتان الآن . وهو رأى السلف الصالح وأهل السنة والجماعة وابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم ، وبعض المعتزلة كأبى على الجبائى وبشر بن المعتمر ، وأبى الحسين البصرى .

الرأى الثانى : أن الجنة والنار غير موجودتين الآن وأنهما يخلقان يوم الجزاء . وقد ذهب إلى هذا الرأى أكثر المعتزلة .

قال شارع العقيدة الطحاوية : أما قوله « إن الجنة والنار مخلوقتان » فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يزل أهل السنة على ذلك ، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية ، فانكرت ذلك ، وقالت : بل ينشئهما

---

(١) سورة الأحزاب : ٧١ .
(٢) سورة محمد : ١٥ .

الله تعالى يوم القيامة !! وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة لما يفعله الله ، وأنه ينبغى أن يفعل كذا ولا ينبغى له أن يفعل كذا !! وقاسوه على خلقه فى أفعالهم ، فهم مشبهة فى الأفعال ، ودخل التجهم فيهم ، فصاروا مع ذلك معطلة ! وقالوا : خلقُ الجنة قبل الجزاء عبثٌ ! لأنها تصير معطلةً مدداً متطاولة !! فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التى وضعوها للرب تعالى ، وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدّعوا من خالف شريعتهم » . (١)

وقال محمد بن عبد الوهاب : « ... وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما اليوم موجودتان ، وأنهما لا يفنيان » . (٢)

وقد أفرد البيهقى – فى كتابه " البعث والنشور " – باباً للحديث عن الإيمان بالجنة والنار وأنهما موجودتان معدتان الآن لأهلهما (٣) وساق من الآيات والأحاديث الدالة على ذلك .

* أدلة أهل السنة ومن تابعهم فى أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن :

أولاً أدلة الكتاب :

قال تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ . (٤)

---

(١) شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية / تحقيق أحمد شاكر صـ ٣٥٤ ط دار التراث بدون تاريخ .
(٢) الشيخ محمد عبد الوهاب عقيدته ودعوته الإصلاحية للشيخ أحمد بن حجر بن محمد . صـ١٣٦ طبعة قطر .
(٣) البعث والنشور صـ ١١٢ تحقيق محمد السعيد بن بسيونى زغلول طبعة مؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الأولى ١٩٨٨م .
(٤) سورة آل عمران : ١٣٣ .

فوصف عرضها ، والعرض لا يكون إلا لمخلوق ، فأما المعدوم فلا عرض له وأخبر بأنها أعدت للمتقين ، والمعدة لا تكون إلا مخلوقة .

٢ - واستدلوا بقوله جل شأنه فى صفة النار ﴿ وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ [١] فقوله " أعدت " بصيغة الماضى يدل على وجودها والمعدة لاتكون إلا موجودة ، وليس هناك ضرورة تحملنا على صرف هذا الظاهر ، وهو الاخبار بالماضى ، إلى أنه مجاز عن المستقبل لتحقق وقوعه .

٣ - واستدلوا أيضا بقوله تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلة أخري عند سدرة المنتهي * عندها جنة المأوي ﴾ [٢] وجنة المأوى هى دار الثواب (الجنة) باجماع العلماء فصح أنها موجودة الآن فى السماء .

ثانياً أدلة أهل السنة من الأخبار المقطوع بصحتها :

١ - ما رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ - قال الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . قال أبو هريرة : فاقرؤا إن شئتم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعلمون ﴾ . [٣]

٢ - ما رواه الإمام مسلم بسنده من حديث أنس - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - أنه قال : « بينما أنا أسير فى الجنة وإذا بنهر فى الجنة حافتاه

(١) سورة آ عمران : ١٣١ .
(٢) سورة القصص : ٨٨ .
(٣) البخارى فى صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله ٥/٢٣٣٩ .

قباب الدر المجوف قال : قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك ربك ، فضرب الملك بيده فإذا طينه المسك الأذفر » .[1]

٢ – ما رواه مسلم فى صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله – ﷺ يقول : « دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً وداراً فقلت لمن هذا ؟ فقيل لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا هو ، فقيل لعمر بن الخطاب فلولا غيرتك يا أبا حفص لدخلته ، قال : فبكى عمر وقال أو يغار عليك يا رسول الله » .[2]

والأحاديث الدالة على وجود الجنة والنار الآن كثيرة ومتعددة ، قال ابن القيم : " فإن قيل فما منعكم عن الاحتجاج على وجودها (الجنة) الآن بقصة آدم ودخوله الجنة وإخراجه منها بأكله من الشجرة والاستدلال بها فى غاية الظهور ؟

قيل : الاستدلال بذلك وإن كان عند العامة فى غاية الظهور فهو فى غاية الغموض لاختلاف الناس فى الجنة التى أسكنها آدم هل كانت جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة ؟ أو كانت جنة فى الأرض فى شرفها ؟.

أما الرأى الثانى : وهو أن الجنة والنار غير موجودتين الآن وأنهما يخلقان يوم الجزاء فقد ذهب إليه أكثر المعتزلة كعباد الضيمرى ، وضرار بن عمرو ، وأبى هاشم الجبّائى والقاضى عبد الجبار .[3]

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الرقاق باب " فى الحوض " ٢٦٤/٧ مرجع سابق وأورده ابن حجر فى فتح البارى كتاب مناقب الأنصار باب المعراج ٢١٧/٧ .
(٢) مسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عمر رضى الله عنه ١٨٦٢/٤ .
(٣) شرح المواقف للجرجانى ٣٠١/٨ مطبعة السعادة – الطبعة الأولى ١٩٠٧م .

أما الفلاسفة فقد ذهبوا إلى القول بنفى الوجود الحسى للجنة والنار مطلقا (أى فى الدنيا والآخرة) جرياً على مذهبهم لأن المعاد عندهم روحانى فقط .[(١)]

واستدلت المعتزلة على رأيها بأربع شبه :

١ – أن الجنة والنار لو كانتا موجودتين الآن لوجب اضطراراً أن تفنيا يوم القيامة وأن يهلك كل من فيهما ويموت لقوله تعالى : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾[(٢)] ، وقوله : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾[(٣)] وقوله تعالى : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾[(٤)] فلو كانت الجنة موجودة لهلكت وفنيت ، مع أن الله تعالى قال فى ثمارها ﴿ أكلها دائم ﴾[(٥)] فدل على أن الجنة غير موجودة الآن .

٢ – واستدلوا كذلك بما رواه الترمذى فى جامعه من حديث ابن مسعود – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله – ﷺ – : « لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى فقال : يا محمد ، اقرىء أمتك منى السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر » . قال ابن أبى العز الحنفى : قال : (يعنى الترمذى) : هذا حديث حسن غريب وفيه أيضا من حديث أبى الزبير ، عن جابر ، عن النبى – ﷺ – أنه قال : « من قال سبحانه الله وبحمده ، غرست له نخله فى الجنة » قال : هذا حديث حسن صحيح .

---

(١) مذكرات فى التوحيد / للشيخ صالح شرف صـ ٩٩ . وسوف نوضح قول الفلاسفة عند الحديث عن كيفية الجنة والنار .
(٢) سورة القصص : ٨٨ .
(٣) سورة آل عمران : ١٨٥ .
(٤) سورة الرحمن : ٢٧ .
(٥) سورة الرعد : ٣٥ .

قالوا (المعتزلة) : فلو كانت مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً ، ولم يكن لهذا الغرس معنى ، قالوا : وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت : ﴿ رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ﴾[1] .

٣ - واستدلوا بأن خلقهما قبل يوم القيامة عبث ؛ لأنهما تصيران معطلتان مدداً متطاولة[2] لأن الفائدة من خلق الجنة والنار المجازاة بالثواب والعقاب وهما غير مستحقتين الآن إجماعاً : قال ابن حكمي : فردوا من نصوص الكتاب والسنة ما خالف هذه الشريعة الباطلة التى وضعوها للرب تعالى : وحرفوا النصوص عن مواضعها ، وضللوا وأبدعوا من خالف شريعتهم قبحهم الله .[3]

٤ - قالوا إن وصف الله تعالى للجنة بأن عرضها عرض السموات والأرض فى قوله تعالى ﴿ سارعوا إلي مغفرة من ربكم جنة عرضها السموات والأرض ﴾ لايتصور إلا بعد فناء السموات والأرض وذلك لامتناع تداخل الأجسام[4] ولو كانت الجنة موجودة الآن لكنا فيها ، والواقع أننا لسنا الآن فى الجنة فدل ذلك على أن الجنة غير موجودة الآن ، وإذا كانت الجنة غير موجودة فالنار كذلك إذ لا قائل بالفصل بينهما .

وللإجابة على هذه الشبه نقول :

أولاً : قولكم لو كانت الجنة والنار موجودتين الآن لوجب اضطراراً أن تفنيا يوم القيامة لقوله تعالى ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ .

---

(١) سورة التحريم : ١١ انظر / شرح الطحاوية صـ٣٥٦ .
(٢) معارج القبول لابن حكمي جـ٢ / ١٤٧ ط دار لبنان العربي .
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .
(٤) شرح المواقف ٣٠٢/٨ ، شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار للأصفهاني صـ٢١٨ .

نقول : إن هذه الآية الكريمة ليس لكم فيها حجة ، لأن الجنة والنار يخصان من عموم الآية ، فالمراد " كل شيء " مما كتب الله عليه الفناء والهلاك " هالك " والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ، وكذا العرش ، فإنه سقف الجنة[1] ويستثنى أيضا الكرسي فلا يشملهم الحكم بالفناء وكل هذا بينته السنة الشريفة . وورد هذا الاستثناء في الكتاب العزيز في قوله تعالى : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات والأرض إلا من شاء الله ﴾[2] .

وقد رد " ابن القيم " على من تمسك بقوله تعالى : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ في دلالتها على أن الجنة والنار لم يخلقا بعد فقال : " فإنما اتيتم من عدم فهمكم معنى الآية واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ولا أخوانكم ، وإنما وفق لفهم معناها السلف وأئمة الإسلام ونحن نذكر بعض كلامهم في الآية ... "[3] .

ثم أخذ في ذكر كلام بعض من وفق إلى بيان معنى الآية الكريمة في أنها لاتدل على عدم وجود الجنة والنار وأنهما مستثنيان من الهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا ، وكذا العرش فلا يبيد ولا يذهب لأنه سقف الجنة ، كما أن الحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة الأولى ولا أبداً لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع وقد ضل سواء السبيل .[4]

---

(١) شرح الطحاوية صـ٢٥٧ مرجع سابق .
(٢) سورة الزمر : ٦٨ .
(٣) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح / لابن القيم صـ ٤٧ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣ م .
(٤) المرجع السابق صـ ٤٧ ، ٤٨ .

وإليك طرفاً من كلام بعض من نقل عنهم هذا المعنى :

قال ابن القيم : " قال البخاري في صحيحه يقال : كل شيء هالك إلا وجهه إلا ملكه ، ويقال إلا ما أريد به وجهه ، وقال الإمام أحمد في رواية إبنه عبد الله : فأما السماء والأرض فقد زالتا لأن أهلهما صاروا إلى الجنة وإلى النار ، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب لأنه سقف الجنة والله تعالى عليه فلا يهلك ولا يبيد ، وأما قوله تعالى ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ فذلك أن الله سبحانه وتعالى أنزل ﴿ كل من عليها فان ﴾[1] فقالت الملائكة هلك أهل الأرض وطمعوا في البقاء فأخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون فقال كل شيء هالك يعني ميت إلا وجهه لأنه حي لا يموت فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت انتهى كلامه – يعني كلام الامام أحمد – "[2] .

قال السعد : " وأجيب بتخصيصها من آية الهلاك جمعاً بين الأدلة ويحمل الهلاك على غير الفناء .. ، وبأن الدوام المجمع عليه هو أنه لا إنقطاع لبقائهما ، ولا انتهاء لوجودهما بحيث لا يبقيان على العدم زماناً يعتبر به ، كما في دوام المأكول ؛ فإنه على التجدد والانقضاء قطعاً ، وهذا لا ينافي فناء لحظة "[3] .

وقال الايجي : " أكلها دائم بدلاً ؛ أي كلما فنى منه شيء جيء ببدله ، فإن دوام أكل بعينه غير متصور لأنه إذا أكل فنى ، ودوام أكلها على سبيل البدل لاينافي هلاكه "[4] .

---

(١) سورة الرحمن / ٣٦ .
(٢) المرجع السابق صـ ٤٧ ، ٤٨ .
(٣) شرح المقاصد جـ٩/١٠٩ تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة ط عالم الكتب والكليات الأزهرية غير أن قوله (بحيث لا يبقيان على العدم زماناً يعتد به) قد يفهم منه أنهما يفنيان ولو لوقت قليل ويؤكد ذلك قوله بعد ذلك (... وهذا لا ينافي فناء لحظة) فقد شبه عدم انقطاع بقاء الجنة والنار ، بعدم إنقطاع المأكول وإن كان انقطاع الثاني ولو للحظة أمر وارد ، فهما كذلك ، والله أعلم .
(٤) شرح المواقف ٣٠٢/٨ .

ثانياً : أما إحتجاجخهم بما رواه الترمذى بسنده عن ابن مسعود عن رسول الله - ﷺ - .

قال : لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى ..... وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة وعذبة الماء ، وأنها قيعان وأن غرسها ... الخ الحديث .

وقولهم : فلو كانت مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً ... إلى إلخ كلامهم !

فالجواب : انكم إن أردتم بقولكم إنها الآن معدومة بمنزلة النفخ فى الصور وقيام الناس من القبور فهذا باطل ، يرده ما تقدم من الأدلة الصريحة فى وجودهما الآن .

وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها ، وأنها لا يزال الله يُحدث فيها شيئاً بعد شيء ، وإذا دخها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أخر فهذا حق ولا يمكن رده ، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر [١] .

وهذا القدر لا يدل على أن الجنة لم تخلق بعد ولا يسوغ إطلاق ذلك [٢] .

ثالثاً : وأما الرد على المعتزلة فى قولهم بأن خلق الجنة والنار قبل يوم القيامة عبث لأنهما تصيران معطلتان مدداً متطاولة فقد أجاب أهل السنة عنه : بأن قولكم لا ثواب ولا عقاب إلا فى الآخرة غير صحيح . بل إن هناك ثواب وعقاب قبل يوم القيامة ؛ فإن الأرواح بعد الموت ، منها ما ينعم فى الجنة ، ومنها ما يعذب فى النار .

ويؤيد ذلك ما رواه النسائى فى سننه بسنده عن كعب بن مالك قال : قال

(١) شرح الطحاوية صـ ٣٥٧ مرجع سابق .
(٢) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح صـ ٤٧ .

رسول الله - ﷺ - : « ... أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر تسرح في الجنة وتأوى إلى قناديل معلقة فى ساق العرش » .[1]

ويؤيد كلام أهل السنة أيضاً : ما رواه الإمام أحمد فى مسنده عن أبى سعيد الخدري عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : « يفتح للمؤمن فى قبره باب إلى الجنة وللكافر باب إلى النار ، وأن المؤمن يصل إليه النعيم من روح الجنة ، والكافر يصل إليه المكروه من النار » .[2]

وأخيراً نقول لهم : أننا لا نسلم بأن أفعال الله تعالى تتوقف على الأغراض كما ذهبتم إليه من قولكم إن الجنة والنار يخلقهما الله للثواب والعقاب فلما لم يكن فى الدنيا ثواب ولا عقاب فلا حاجة إليهما ، بل نقول إن الله يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه .

رابعاً : قولهم إن وصف الله تعالى للجنة بأن عرضها عرض السموات والأرض لا يتصور إلا بعد فناء السموات والأرض لامتناع تداخل الأجسام .

أجاب عنه الجرجانى : فقال : المراد أنها أى عرضها كعرض السموات والأرض لامتناع أن يكون عرضها عرضهما بعينه لا حال البقاء ولا بعد الفناء إذ يمتنع قيام عرض واحد شخصى بمحلين موجودين معاً ، أو أحدهما موجود والآخر معدوم ، وللتصريح فى آية أخرى بأن عرضها كعرض السموات والأرض فيحمل هذا على تلك كما يقال أبو يوسف أبو حنيفة أى مثله [3] فقوله عرضها السموات والأرض كقوله عرضها كعرض السموات والأرض أى مثلها . والمماثلة لا تدى إلى التداخل كما تزعم المعتزلة .

---

(١) سنن النسائى باب أرواح المؤمنين جـ٤/١٠٨ المطبعة المصرية ط أول ١٣٤٨هـ .
(٢) مسند أحمد جـ٣/٣ ، ٤ ط الشعب بدون تاريخ .
(٣) شرح المواقف ٨/٣٠٢ .

تنبيه :

تتميماً لعرض آراء العلماء فى وجود الجنة والنار الآن أود أن أنبه إلى أن المؤرخين للفرق الكلامية لم يذكروا رأى الخوارج فى هذه القضية على حد علمنا إلا " ابن حزم الظاهرى " فإنه حكى مذهبهم فقال فى نصه : « ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يخلقا بعد ... »[1] كما أن " الملطى " هو الذى ذكر رأى " الجهم بن صفوان " فى خلق الجنة والنار الآن فقال ما نصه : « وانكر جهم أن الله جل اسمه خلق الجنة والنار ، والله عز وجل يقول : ﴿ أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾[2] ورد عليه إنكاره هذا بأدلة الكتاب والسنة »[3] وقد صرح ابن القيم فى نونيته الكافية الشافية فى أثناء حكايته عقيدة جهم وشيعته بأن جهماً قد ذهب إلي القول بأن الجنة والنار لم يخلقا بعد وأنهما يخلقان يوم الميعاد ثم يفنيان بعد فترة من الوقت .

قال ابن القيم :

وقضى بأن النار لم تخلق ولا	جنات عدن بل هما عدمان
فإذا هما خلقا ليوم معادنا	فهما على الأوقات فانيتان [4]

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١٤١/٤ ت/د/ عميرة . والمصرى ، ط دار الجيل لبنان بيروت . بدون تاريخ .

(٢) سورة البقرة : ٣٥ .

(٣) راجع التنبيه والرد – الملطى من صـ ١٣٧ – ١٤٠ تقديم وتعليق الشيخ محمد زاهد الكوثرى إعداد فتحى جابر العقيلى – الطبعة الثانية – بدون تاريخ .

(٤) القصيدة النونية لابن القيم ٣٢/١ ، ٣٣ شرح وتعليق د / هراس ، ومعارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد حكمى ١٤٧/٢ ط دار البيان العربى بدون تاريخ .

* فإذا انتفت أدلة القائلين بأن الجنة والنار لم يخلقا بعد وأنهما لا يوجدان إلا يوم الجزاء ، وثبت أن العقل لا يحيل تقدمهما على يوم الجزاء ، وأن الشرع يؤكد ذلك بما لا يدع مجالا للشك ، ثبت قول أهل السنة والجماعة ومن تابعهم فى أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن .

وهذا ما يؤكده إمام الحرمين فى كتابه (العقيدة النظامية) حيث قال : « لا إستحالة فى تقديم خلق الجنة والنار على يوم الجزاء فهما من خلق الله سبحانه كالعرش والكرسى ، ولا يضيق عن تجويز تقديم خلقهما إلا صدر مرتاب » . [1]

---

(١) العقيدة النظامية صـ ٨٠ تحقيق د / أحمد حجازى السقا . مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٩ .

جنة واحدة أم جنان كثيرة ؟

تعددت الإطلاقات في لسان الشرع على الجنة : كجنة الفردوس ، وجنة المأوى وجنة الخلد ، وجنة عدن ، وجنة النعيم ، ودار السلام ، ودار الجلال . وإزاء تعدد هذه الإطلاقات تنازع العلماء فيها : هل هي جنة واحدة أم جنان كثيرة ؟ !

فذهب بعضهم إلى أنها جنة واحدة على درجات ، وقد أطلق عليها عدة أسماء باعتبارات مختلفة [1] : فهي جنة عدن باعتبار كونها دار إقامة ، وجنة المأوى باعتبار كونها مأوى للمؤمنين ، وجنة الخلد باعتبار خلود المؤمنين فيها ، ودار السلام لسلامة أهلها من كل خوف وحزن ، وجنة النعيم لتنعم أهلها فيها بأصناف النعيم .

ويؤيد هذا المذهب :

ما رواه الإمام الترمذي في سننه عن عبادة بن الصامت أن رسول الله – ﷺ – قال : « في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها درجة ، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ، ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس » [2] .

وذهب بعضهم إلى أن الجنات أربع لقوله تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ [3] ثم قوله : ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ [4] .

وذهب بعضهم إلى أن الجنات سبع جنات متجاورات أوسطها وأفضلها

---

(١) مذكرات التوحيد للشيخ محمود أبو دقيقة صـ ٢٢١ وما بعدها .
(٢) سنن الترمذي ، كتاب صفة الجنة ، باب ما جاء في صفة درجات الجنة ، حديث رقم ٢٥٣١ .
(٣) سورة الرحمن : ٤٦ .
(٤) سورة الرحمن : ٦٢ .

وأعلاها درجة (الفردوس) ، وجنة المأوى ، وجنة الخلد ، وجنة النعيم ، وجنة عدن ، ودار السلام ، ودار الجلال . وهذا مروى عن ابن عباس .[1]

ويؤيد هذا المذهب :

ما رواه الإمام البخارى فى صحيحه بسنده عن أنس - رضى الله عنه - قال : أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى النبى - ﷺ - فقالت يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة منى فإن يكن فى الجنة أصبر واحتسب وإن تك الأخرى ترى ما أصنع ، فقال ويحك أو هبلت ؟! أ جنة واحدة هى ! إنها جنان وإنه فى جنة الفردوس » .[2]

قال الشيخ صالح شرف :

« وهذا لا يضر الإنسان أن يعتقد هذا أو ذاك - أى أن يعتقد أنها جنة واحدة أو أكثر - إنما الواجب عليه أن يعتقد أن هناك داراً للثواب أعدها الله تعالى للمؤمنين من عباده فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين » .[3]

أما النار فقد وردت فى الكتاب العزيز بألفاظ متعددة كالسعير والجحيم ، وجهنم ، وسقر ، ولظى ، والحطمة ، والهاوية .

غير أننا لم نقف علي خلاف بين العلماء فيها هل هى نار واحدة متعددة الدركات والطبقات أم أنها نيران متعددة ! .

* مكان الجنة والنار :

قال السعد التفتازانى : « لم يرد نص صريح فى تعيين مكان الجنة والنار ،

---

(١) مذكرات التوحيد / للشيخ صالح شرف صـ ٩٨ ، اتحاف المريد صـ ١٥١ .
(٢) صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، باب فضل من شهد بدراً .
(٣) مذكرات فى التوحيد صـ ٩٨ مرجع سابق .

والأكثرون على أن الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش تشبثاً بقوله تعالى : ﴿ عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ﴾ [1] وقوله عليه السلام : « سقف الجنة عرش الرحمن والنار تحت الأرضين السبع » ثم قال : والحق تفويض ذلك إلى علم العليم الخبير » [2] وإننى لأوافقه فى هذا حيث إن معرفة مكان الجنة والنار شىء يصعب تعيينه خاصة وأن النصوص لم تكن صريحة فى بيان ذلك فهو أمر غيبى والتفويض فيه أسلم .

---

(١) سورة النجم : ١٤ ، ١٥ .

(٢) شرح المقاصد جـ٥/١١١ مرجع سابق . وراجع / حادى الأرواح صـ٥٧ ومابعدها مرجع سابق .

القول ببقاء الجنة والنار :

تمهيد : بعد أن تكلمنا عن وجود الجنة والنار وبينا أنهما مخلوقتان ومعدتان لأهلهما وذكرنا الأدلة على هذا ، ورددنا على أدلة القائلين بأنهما غير موجدتين الآن وأنهما يخلقان يوم الجزاء .

نريد أن نكشف اللثام عن موضوع آخر لا يقل أهمية عما سبقه من موضوعات وهو القول ببقاء الجنة والنار .

ولقد تنوعت آراء العلماء في هذه القضية فمنهم من يرى أن الجنة والنار أبديتان لا تفنيان ولا يفنى من فيهما وهذا هو قول جمهور الأئمة من السلف والخلف . ومنهم من يرى أن الجنة والنار تفنيان كلتاهما لأنهما حادثتان وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه ، وهذا قول جهم بن صفوان إمام المعطلة وليس له في هذا القول سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ، ولا من أئمة المسلمين ، ولا من أهل السنة ، وأنكره عليه عامة أهل السنة .

ومنهم من يرى أن حركات أهل الجنة والنار تفنى ويصيرون جماداً لا يحسون بنعيم ولا ألم ، بل هم في سكون دائم لا يقدر أحد منهم على حركة !! وهذا هو قول أبي الهذيل العلاف ومن تبعه .

هذه هي آراء العلماء في بقاء الجنة والنار وعدم فنائهما معاً . وقد فرق بعض العلماء بين أبدية الجنة وأبدية النار فقال بأبدية الجنة وفناء النار وهذا هو قول ابن تيمية وظاهر كلام ابن القيم وقد ذكر ابن القيم في كتابه (حادي الأرواح إلى بلاد الأرواح) [1] سبعة أقوال في أبدية النار ، ذكرها ابن أبي العز الحنفي في

(١) – من صـ ٢٥٢ – ٢٥٣ .

شرح الطحاوية وزاد عليها قولاً ثامناً ونسبه إلى شيخه الإمام " أبو جعفر الطحاوى "[1] وهو القول بأن الله تعالى يخرج منها (النار) من يشاء ، كما ورد فى السنة ، ويبقى فيها الكفار ، بقاءً لا إنقضاء له .[2]

أما الأقوال السبعة التى اتفقوا فى ذكرها فهى :

القول الأول : أن من دخلها لا يخرج منها أبداً بل كل من دخلها مخلد فيها أبد الآباد بإذن الله وهذا قول الخوارج والمعتزلة .

القول الثانى : أن أهلها يعذبون فيها ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة النارية يتلذذون بها لموافقتها لطبعهم . وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربى الطائى !! .

القول الثالث : قول من يقول إن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون ، وهذا القول حكاه اليهود للنبى - ﷺ - وأكذبهم فيه ، وقد أكذبهم الله تعالى فيه .

القول الرابع : قول من يقول يخرجون منها وتبقى ناراً على حالها ليس فيها أحد يعذب . قال ابن القيم : حكاه شيخ الإسلام (ابن تيمية) .

القول الخامس : أنها تفنى بنفسها لأنها حادثة بعد أن لم تكن ، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته ، وهذا قول " جهم بن صفوان " وشيعته ولا فرق عنده فى ذلك بين الجنة والنار .

---

(١) هو الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدى الطحاوى ، ولد سنة ٢٣٩ هـ وتوفى ٣٢١ هـ أخبر رحمه الله عما كان عليه السلف ، ونقل عن الإمام أبى حنيفة النعمان ، وصاحبيه أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم الحميرى ، ومحمد بن الحسن الشيبانى ، ما كانوا يعتقدون من أصول الدين . تنظر ترجمته مفصلة فى تذكرة الحفاظ الذهبى ٢٨/٣ ، ٢٩ ، شذرات الذهب ٢٨٨/٢ . وشرح الطحاوية صـ ١٤ مرجع سابق .

(٢) ويلاحظ أن الشيخ الطحاوى فرق بين عصاة المؤمنين الذين يدخلون النار ثم يخرجون منها بعد أن يشاء الله وبين الكفار الباقين فى النار الذين لا ينقضى بقاؤهم فيها .

القول السادس : تفنى حركات أهلها ويصيرون جماداً لا يحسون بألم ، وهذا قول أبى الهذيل العلاف كما تقدم .

القول السابع : بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى فإنه جعل لها أمداً تنتهى إليه ثم تفنى ويزول عذابها .

قال ابن القيم : قال شيخ الإسلام : وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد وغيرهم ... إلخ . (١)

وبعد هذا العرض الإجمالي لآراء العلماء فى بقاء الجنة والنار نلقى الضوء على هذه الآراء بشىء من التوضيح ونبين موقف أهل السنة والجماعة منها واستدلالهم على أن الجنة والنار باقيتان ولا تفنيان أبداً وردهم على المخالفين لهذا الأصل من أصول الاعتقاد ، متوخياً أثناء عرضى للآراء المخالفة الأمانة فى النقل وإيراد ما أجاب به أهل الحق على هذه الآراء .

ويمكن حصر الآراء فى هذه المسألة فى ثلاثة آراء :

الرأى الأول : رأى من يقول إن الجنة والنار (٢) باقيتان ولا تفنيان وهو رأى السلف الصالح وجمهور المتكلمين من المعتزلة وأهل السنة ومن تابعهم .

الرأى الثانى : رأى القائلين بفناء الجنة والنار وعدم بقائهما وهو رأى جهم بن صفوان ، وأبو الهذيل العلاف ومن تابعهما .

---

(١) تنظر هذه الأقوال فى حاوى الأرواح صـ ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، شرح الطحاوية صـ ٣٥٩ ، ٣٦٠ قال ابن أبى العز الحنفى : وهذان القولان (السابع ، والثامن اللذان اختارهما شيخه) لأهل السنة . وما عدا هذين القولين الأخيرين ظاهر البطلان .

(٢) سوف أتناول فى حديثى عن الرأى الأول قول المعتزلة والخوارج بأن من دخل النار لا يخرج منها أبداً بل كل من دخلها فهو مخلد فيها أبد الآباد بإذن الله ، وأبين أنهم إنما قالوا هذا جرياً على مذهبهم الفاسد فى أن مرتكب الكبيرة الذى مات من غير توبة مخلد فى النار . فلا فرق عندهم بين المؤمن العاصى والكافر على خلاف بينهم فى التفصيل !!!

الرأى الثالث : رأى القائلين بفناء النار دون الجنة . وقد نسبه شارح المواقف إلى جماعة خارجة عن الملة الإسلامية [1] ولى فيه تفصيل سأذكره عند الحديث عن هذا الرأى .

الرأى الأول : رأى (القائلين ببقاء الجنة والنار وبقاء أهلهما) .

ذهب إلى هذا الرأى جمهور الأئمة من السلف والخلف وجمهور المتكلمين من المعتزلة وأهل السنة وأصحاب الحديث والفقهاء ، فقد حكى الإمام ابن حزم إتفاق فرق الأمة على بقاء الجنة والنار فقال ما نصه : « اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ، ولا للنار ولا لعذابها ، إلا جهم بن صفوان ، وأبا الهذيل العلاف وقوماً من الروافض » . [2]

وقال الإمام تقى الدين السبكى باجماع المسلمين على بقائهما فقال : «أجمع المسلمون على اعتبار ذلك ، وتلقوه خلفاً عن سلف عن نبيهم – ﷺ . وهو مركوز فى فطرة المسلمين معلوم من الدين بالضرورة – بل وسائر الملل من غير المسلمين يعتقدون ذلك [3] وقال الإمام أبو حنيفة : « واعلموا أن نعيم أهل الجنة لا زوال له وعقاب أهل النار من الكفار لا انقطاع له » . [4]

وقد استدل أصحاب هذا الرأى على بقاء الجنة والنار بأدلة من الكتاب والسنة :

أولاً استدلالهم على بقاء الجنة :

أ – الأدلة من الكتاب على بقاء الجنة قال تعالى : ﴿ وأما الذين سعدوا

---

(١) شرح المواقف ٨/٣٠٧ .

(٢) الفصل فى الملل و الأهواء والنحل لابن حزم الظاهرى جـ٤/١٤٥ مرجع سابق .

(٣) الاعتبار ببقاء الجنة والنار للسبكى صـ ٥٧ تحقيق د / طه الدسوقى حبيش .

(٤) الفقه الأكبر فى التوحيد للإمام أبى حنيفة النعمان صـ ٢٨ مكتبة صبيح .

ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ، عطاءً غير مجذوذ ﴾[1] أي غير مقطوع ولا تنافي بين ذلك وبين قوله ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ وقد نقل " ابن القيم " وتابعه ابن أبي العز في شرح الطحاوية اختلاف السلف في هذا الاستثناء . فقيل : إلا مدة مكثهم في النار ، وهذا يكون لمن دخل منهم النار ثم أخرج منها ، لا لكلهم ، وقيل إلا مدة مقامهم في الموقف ، وقيل إلا مدة مقامهم في القبور والموقف ، وقيل : هو استثناء الرب ولا يفعله كما تقول : والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك ، وأنت لا تراه ، بل تجزم بضربه ... وقيل : الاستثناء لإعلامهم بأنهم - مع خلودهم - في مشيئة الله لأنهم لايخرجون عن مشيئته ، ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود كما في قوله تعالى : ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً ﴾[2] وقيل غير ذلك .

قال ابن القيم : « وهذه الأقوال متقاربة ويمكن الجمع بينها بأن يقال : أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت إلا وقتا يشاء أن لا يكونوا فيها وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا وفي البرزخ وفي موقف القيامة وعلى الصراط وكون بعضهم في النار مدة ، وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه وقوله فيها ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾ « محكم »[3] فيجب رد المتشابه إلى المحكم .

وكذلك قوله ﴿ إن هذا لرزقنا ما له من نفاذ ﴾[4] وقوله

---

(١) سورة هود : ١٠٨ .
(٢) سورة الاسراء : ٨٦ .
(٣) حادي الأرواح صـ ٢٤٨ مرجع سابق .
(٤) سورة ص : ٥٤ .

تعالى ﴿لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين﴾[1] ، وقوله تعالى﴿أكلها دائم وظلها﴾[2] .

« وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد فى عدة مواضع من القرآن الكريم ، وأخبر أنهم : ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولي﴾[3] ، وهذا الاستثناء منقطع وإذا ضممته إلى الاستثناء فى قوله تعالى : ﴿إلا ما شاء ربك﴾ تبين لك أن المراد من الآيتين استثناء الوقت الذى لم يكونوا فيه فى الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت ، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية ، وذاك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها »[4] فالقرآن الكريم شاهد على أن أهل الجنة خالدون فيها أبداً ، منعمون بنعم الله الكثيرة التى لا تنقطع ولا تنفذ قال الله عز وجل : ﴿وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة﴾[5] .

(ب) الأحاديث النبوية الدالة على بقاء الجنة وعدم فنائها :

لقد بين رسول الله – ﷺ – أن أهل الجنة لا يموتون فيها أبداً فقال – عليه السلام – : فيما رواه عنه الإمام البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى : « يجاء بالموت فى صورة كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ؛ هذا الموت فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون مشفقين ، ويقال يا أهل النار فيطلعون فرحين فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون

(١) سورة الحجر : ٤٨ .
(٢) سورة الرعد : ٣٥ .
(٣) سورة الدخان : ٥٦ .
(٤) حادى الأرواح صـ٢٤٨ ، شرح الطحاوية صـ٣٥٩ مرجعان سابقان .
(٥) سورة الواقعة : ٣٢ – ٣٤ .

نعم هذا الموت ، فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » .[1]

وقال عليه السلام أيضاً : « ينادى مناد يوم القيامة يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً » .[2]

فبالنظر فى الآيات السابقة والأحاديث المتعددة المرفوعة إلى رسول الله - ﷺ - يتبين لكل ذي عقل وبصيرة أن الجنة دار أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين وأنها باقية وخالدة لا تفنى ولا يفنى أهلها وأن نعيمها دائم ومتصل لا انقطاع فيه ولا امتناع له ، وهذا ما ندين به ونعتقده وهو الراجح فى نظرنا .

وقد استدل الإمام الرازى على دوام الجنة والنار بدليل عقلى مؤاده : « أن دوام الجنة والنار أمر ممكن وقد أخبر به الصادق الأمين محمد - ﷺ - وكل من كان كذلك فهو حق ويجب الإيمان به والاقرار به » .[3]

ثانياً : أدلتهم على بقاء النار وأهلها وعدم فنائها :

قال ابن حزم : « ... وأن النار حق ، وأنها دار عذاب لا تفنى ، ولا يفنى أهلها بلا نهاية » .[4]

---

(١) صحيح البخارى - كتاب التفسير ، باب يجاء بالموت ٢٨٢/٨ مرجع سابق .
قال القسطلانى : فإن قلت ما الحكمة فى مجىء الموت فى صورة كبش دون غيره ؟ أجيب بأن ذلك إشارة إلى حصول الفداء لهم به كما فدى ولد الخليل بالكبش ، وفى الأملح إشارة إلى صفتى أهل الجنة والنار . راجع : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان . محمد فؤاد عبد الباقى ٣٨١/٣ ط الحلبى .
(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده بسنده عن أبى هريرة - رضى الله عنه - جـ٣٧٨/٢ ، ٣٤٤ مرجع سابق .
(٣) معالم أصول الدين صـ١٢١ مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى .
(٤) مراتب الإجماع لابن حزم صـ ١٧٣ طبعة المكتبة العلمية - بيروت .

وقال صدِّيق خان : « وقد ألف العلامة الشيخ مرعي الكرمى الحنبلى رسالة سماها " توفيق الفريقين على خلود أهل الدارين " وفى الباب رسالة للسيد الإمام محمد بن اسماعيل الأمير ، ورسالة للقاضى العلامة محمد بن على الشوكانى ، حاصلها بقاء الجنة والنار وخلود أهلهما فيهما »[1] .

وباستقراء آيات الكتاب الحكيم نجد أن الآيات التى وردت فى النار وفيها لفظ التأبيد مقترناً بالخلود هى :

- قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً ﴾[2] .

- وقوله تعالى : ﴿ إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً ﴾[3] .

- وقوله تعالى : ﴿ إلا بلاغاً من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً ﴾[4] .

يضاف إلى هذه الآيات آيات وردت فى شأن الكفار وأنهم مخلدون فى النار غير أنها لم تقترن بلفظ التأبيد وهى آيات كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[5] .

---

(١) يقظة أولى الاعتبار لصديق خان صـ ٤٢ ط دار الأنصار - القاهرة - ط أولى ١٩٧١م .
(٢) سورة النساء : ١٦٨ ، ١٦٩ .
(٣) سورة الأحزاب : ٦٤ ، ٦٥ .
(٤) سورة الجن : ٢٣ .
(٥) سورة البقرة : ٣٩ .

وقوله : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم ﴾ (٢) .

ولما كانوا خالدين فيها فقد وصف الحق عذاب النار بأنه عذاب مقيم أى لا ينقطع ، كما أضافه إلى الخلد فقال من عز من قائل :

﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴾(٣) وقال تعالى : ﴿ ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ﴾(٤) .

ففى الآية الأولى ذكر الله تعالى أن النار عذابها مقيم أى دائم لا ينقطع ، وأنهم ليسوا بخارجين منها .

وفى الآية الثانية وصف عذاب النار بأنه عذاب الخلد أى أن عذابها دائم وخالد لا يفنى ولا يزول عنهم .

وفى صحيح البخارى بسنده عن ابن عمر – رضى الله عنهما – عن النبى – ﷺ – قال : يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم ، يا أهل النار لا موت ، ويا أهل الجنة لا موت ، خلود » (٥) .

---

(١) سورة البقرة : ١٦٠ ، ١٦١ .
(٢) سورة التوبة : ٦٣ .
(٣) سورة المائدة : ٣٧ .
(٤) سورة يونس : ٥٢ .
(٥) فتح البارى شرح صحيح البخارى . كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب جـ٤٠٦/١١ . مرجع سابق .

وهذا ما يقال بعد أن يذبح الموت بين الجنة والنار كما فى حديث ابن عمر عند الإمام البخارى . وقد سبق ذكره عند الحديث على بقاء الجنة .

وأخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى مرفوع إلى النبى - ﷺ - قال : « إذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح[1] فيوقف بين الجنة والنار ، فيذبح وهم ينظرون ، فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة ، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار » قال القرطبى : حديث حسن صحيح[2] .

قال شارح الطحاوية : « وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال : " لا إله إلا الله " ، وأحاديث الشفاعة صريحة فى خروج عصاة الموحدين من النار[3] ، وأن هذا حكم مختص بهم ، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان »[4] .

مما سبق يتضح أن النصوص صريحة فى بقاء النار وبقاء أهلها وإلا لما كان هناك فرق بين عصاة المؤمنين الذين يخرجون من النار بعد قضاء فترة عقابهم وبين الكفار والمشركين ، ولما كان لشفاعة رسول الله - ﷺ - لأصحاب الكبائر من أمة الإسلام قيمة لو أن الكفار سوف يخرجون من النار وتفنى النار . فدل ذلك - بضمه إلى الآيات القرآنية المصرحة بخلود الكفار فى نار جهنم أبداً وإقامتهم فيها - على أن النار خالدة وباقية لا تفنى وأن أهلها كذلك خالدون فيها أبداً .

---

(١) الأملح : هو الأبيض الخالص ، وقيل فيه بياض بسواد وبياضه أكثر . لسان العرب لابن منظور ٦/٤٢٥٦ .

(٢) التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبى صـ٤٣٦ ط المكتبة السلفية - المدينة المنورة .

(٣) سوف أفرد للحديث عن مصير عصاة المؤمنين فى الآخرة مبحثاً أبين فيه ذلك .

(٤) شرح الطحاوية صـ٣٦٢ مرجع سابق .

وهذا هو ما تطمئن إليه النفس ، وعليه السلف الصالح وجمهور أهل السنة والجماعة وهو التحقيق عندنا .

وسوف أسوق كلام الخوارج والمعتزلة القائلين بخلود النار وخلود أهلها فيها عند الحديث عن عصاة المؤمنين وهل هم مخلدون فى النار ؟ وذلك لأنهم (الخوارج والمعتزلة) لا يفرقون فى الحكم بالخلود فى النار بين عصاة المؤمنين والكفار والمشركين ، كذلك أرجأت الحديث عن رأيهم فى خلود النار وأهلها لأنه مخالف لرأى السلف الصلح وأهل السنة والجماعة القائلين بأن الخلود فى النار خاص بالكفار والمشركين . كما سبق بيانه .

الرأى الثانى : رأى القائلين بفناء الجنة والنار .

وفيه قولان :

قول لجهم بن صفوان ، وقول لأبى الهذيل العلاف .

أولاً : قول جهم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية :

بأن الجنة والنار تفنيان وتزولان « لأنهما حادثتان ، وكل حادث يستحيل بقاؤه ، لأنه يرى امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث فكما أنه يمتنع وجود ما لا يتناهى من الحوادث فى الماضى ، يمتنع وجود ما لا يتناهى فى المستقبل فدوام الفعل ممتنع عنده على الرب سبحانه وتعالى فى المستقبل كما هو ممتنع عليه فى الماضى »[1] .

---

(١) ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامى للدكتور / عوض الله حجازى صـ ٢٣٧ دار الطباعة المحمدية ط الثالثة ١٩٨٩م .

وقد تعددت النقول عن جهم بن صفوان فى هذه القضية منها :

ما ذكره الإمام الأشعرى في مقالات الإسلاميين : « اختلفت المرجئة فى تخليد الله الكفار على مقالتين : فقالت الفرقة الأولى منهم وهم أصحاب جهم بن صفوان : الجنة والنار تفنيان وتبيدان ويفنى أهلهما حتى يكون الله موجوداً لا شيء معه كما كان موجوداً لا شيء معه ، وأنه لا يجوز أن يخلد الله أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وهذا ردٌ ما اتفق المسلمون عليه ونقلوه نصاً .

وقال المسلمون كلهم إلا جهماً إن الله يخلد أهل الجنة فى الجنة ويخلد الكفار فى النار »[1] .

ومنها ما قاله الشهرستانى : « ومن الأشياء التى انفرد بها " جهم " عن المعتزلة قوله : إن حركات أهل الخلدين تنقطع ، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما ، وتلذذ أهل الجنة بنعيمها ، وتألم أهل النار بالنار وجحيمها ، إذ لا يتصور حركات لا تتناهى آخراً كما لا تتصور حركات لا تتناهى أولاً »[2] .

ومنها ما قاله صاحب تحفة المريد « دار خلود - أى دار اقامة مؤبدة - ورد بذلك على الجهمية وهم منسوبون لجهم - اسم رجل - يقولون بفنائهما وفناء أهلهما وهم كفار لمخالفتهم الكتاب والسنة »[3] .

وقد انتقد ابن القيم " جهماً " فى القول بفناء الجنة والنار فقال : « إنه قول مبتدع وليس للجهمية فيه سلف قط من الصحابة ولا من التابعين ، ولا أحد من أئمة

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعرى صـ١٤٨ ، ١٤٩ مرجع سابق .

(٢) الملل والنحل صـ٨٨ مرجع سابق .

(٣) تحفة المريد على جوهرة التوحيد صـ٢٢٢ للشيخ إبراهيم البيجورى - الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية - بدون تاريخ .

الإسلام ولا قال به أحد من أهل السنة ، وهذا القول مما أنكره عليه وعلى اتباعه أئمة الإسلام وكفروهم به وصاحوا بهم فى أقطار الأرض كما ذكره عبد الله بن الامام أحمد فى كتاب السنة عن خارجة بن مصعب أنه قال : كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل : بقوله الله عز وجل : ﴿ أكلها دائم وظلها ﴾ وهم يقولون لا يدوم ، ويقول الله تعالى : ﴿ إن هذا لرزقنا ما له من نفاذ ﴾ وهم يقولون ينفذ ، ويقول الله عز وجل ﴿ ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ﴾ قال شيخ الإسلام - يعنى ابن تيمية : وهذا قاله جهم لأصله الذى اعتقده وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث ... فرأى الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها فى الماضى يمنع فى المستقبل فدوام الفعل ممتنع عنده على الرب تبارك وتعالي فى المستقبل كما هو ممتنع عليه فى الماضى »[1] .

ثم قال ابن القيم : « والمقصود أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين والذين قالوه إنما تلقوه عن قياس فاسد كما اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقاً وبنوا عليه القول بخلق القرآن ونفى الصفات وقد دل القرآن والسنة والعقل على أن كلمات الله وأفعاله لا تتناهى ولا تنقطع بآخر ولا تحد بأول قال تعالى ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله إن الله عزيز

---

(١) حادى الأرواح صـ٢٤٩ مرجع سابق .
(٢) سورة الكهف : ١٠٩ .

حكيم ﴾[1] فالخبر عن عدم نفاذ كلماته لعزته وحكمته وهذان وصفان ذاتيان له سبحانه وتعالى لا يكون إلا كذلك »[2] .

وقد أورد ابن حزم ما احتج به جهم بن صفوان ورد عليه وفنده : ومن بين ما احتج به "جهم" قوله تعالى : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ وقول جهم : كما لا يجوز أن يوجد شيء لم يزل غير الله تعالى فكذلك لا يجوز أن يوجد شيء لا يزال غير الله تعالى .

فرد ابن حزم على احتجاجه الأول : في قوله تعالى ﴿ كل شيء هالك ﴾ « فإن المولى تعالى قد عنى بها التغير والاستحالة من شيء لشيء وهذا عام لجميع المخلوقات وكذلك مدد النعيم في الجنة والعذاب في النار فكلما فنى منها شيء أحدث الله تعالى غيره بدون انتهاء لهذا المدد ... وأما قوله : كما لا يجوز أن يوجد شيء لم يزل ... الخ فيرد عليه ابن حزم بقوله : إن هذه قضية فاسدة وقياس فاسد لا يصح فالمحال هو قولنا : إن أشياء لا أول لها ولم تزل .

وهذا ما ذكرناه في الرد على من قال أن العالم لم يزل أما قولنا لا يزال فليس كذلك لأن إحداث الله تعالى للأشياء شيئاً بعد شيء بلا انتهاء هو أمر ممكن وليس ممتنع »[3] .

يضاف إلى ما سبق أن مذهب جهم في أن الجنة والنار فانيتان معارض بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة التي ذكرناها في اثبات بقاء الجنة والنار وعدم فنائهما .

---

(١) سورة لقمان : ٢٧ .
(٢) المرجع السابق صـ٢٥١ .
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٤/٨٥ طبعة دار المعرفة بتصرف .

ثانياً : قول أبى الهذيل العلاف :

الذى يرى أن حركات أهل الخلدين تنقطع وأنهم يصيرون إلى سكون دائم خموداً ، وتجتمع اللذات فى ذلك السكون لأهل الجنة وتجتمع الآلام فى ذلك السكون لأهل النار وهذا ما يؤكده ابن حزم فى الفصل حيث قال : « وقال أبو الهذيل إن الجنة والنار لا يفنيان ولا يفنى أهلهما إلا أن حركاتهم تفنى ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون وهم فى ذلك أحياء متلذذون أو معذبون »[1] .

وقد وضح الشهرستانى علة إلتزام أبى الهذيل العلاف بهذا الرأى بأن قال « وإنما التزم أبو الهذيل هذا المذهب ؛ لأنه لما ألزم فى مسألة حدوث العالم : أن الحوادث التى لا أول لها كالحوادث التى لا آخر لها ؛ إذ كل واحدة لا تتناهى ، قال :

إنى لا أقول بحركات لا تتناهى آخرا ، كما لا أقول بحركات لا تتناهى أولاً بل يصيرون إلى سكون دائم .

قال الشهرستانى : وكأن ما لزمه فى الحركة لا يلزمه فى السكون »[2] أى أنه إذا كانت حركات أهل الخلدين تنقطع فما المانع أن ينقطع سكونهم أيضا . فيلزم المحال ؟!!

والفرق بين قول جهم بن صفوان وأبى الهذيل العلاف :

أن الجهم وإن قال بفنائهما فقد قال : بأن الله عز وجل قادر بعد فنائهما على

---

(١) الفصل لابن حزم ٨٣/٤ مرجع سابق .
(٢) الملل والنحل للشهرستانى صـ٥٥ مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الأولى ١٩٧٧م .

على أن يخلق أمثالهما ، وأبو الهذيل يزعم أن ربه لا يقدر بعد فناء مقدوراته على شيء[1] .

ومما لاشك فيه أن قول العلاّف باطل ، « لأنه يؤدى إلى الحد من قدرة الله تعالى التى تتعلق بجميع الموجودات »[2] ويبطل الرغبة والرهبة ويهدم فائدة الوعد والوعيد[3] .

كما أنه يلزم من كلامه هذا : سكون الخلائق على أوضاع غريبة لا تقبل : فكيف حال من كان يجامع أهله ثم انقضت تلك الحركات قبل أن ينزع عنها أيظل على حالته تلك من الغشيان والإيلاج ؟ وكيف حال من رفعت يده اللقمة إلى فمه أيظل فمه مفتوحاً فى انتظار اللقمة التى لن تصل إليه ؟!!

قال صاحب معارج القبول : هذه الأقوال مخالفة لصحيح المعقول وصريح المنقول ، ومحادة ومشاقة لله تعالى ورسوله - ﷺ - » ... وما أحسن ما قاله ابن القيم - رحمه الله تعالى - فى نونيته الكافية الشافية فى أثناء حكايته عقيدة جهم وشيعته[4] ... والعلاّف من بقاء الجنة والنار فقال :

وقد قضى بأن الله كان معطلاً ... والفعل ممتنع بلا إمكان

ثم استحال وصار مقدوراً له ... من غير أمر قام بالديان

بل حاله سبحانه فى ذاته ... قبل الحدوث وبعده سيان

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى صـ ١٢٢ ت / د محمد محى الدين عبد الحميد . دار المعرفة - بيروت .

(٢) محاضرات فى نشأة علم الكلام د / عوض الله حجازى صـ ٤٣ .

(٣) التبصير فى الدين للاسفرائينى صـ ٤٢ . مطبعة الأنوار ، طبعة أولى .

(٤) معارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد حكمى . مرجع سابق .

وقـــضى بأن النار لم تخلق ولا — جنات عــدن بل همــا عــدمــان

فــإذا همــا خلقــا ليـوم مــعــادنا — فــهـمــا علي الأوقــات فــانيــتــان

وتلطف العــلاّف من أتبــاعــه — فــأتى بضــحكة جــاهل مــجــان

قــال الفناء يكون في الحــركــات — لا في الذات واعجباً لهذا الهذيان

أيصــيــر أهل الخلد في جناتهم — وجــحــيــمــهم كــحــجــارة البنيــان

... إلخ الأبيات [1]

الرأى الثالث : رأى القائلين بفناء النار وبقاء الجنة .

وقد حكى شارح المواقف هذا الرأى ونسبه إلى جماعة (طائفة) خارجة عن الملة الإسلامية [2] .

وأضيف أن هذا الرأى منسوب أيضا إلى اليهود ، وابن عربى الطائى ، وابن تيمية وابن القيم [3] .

ولنا تفصيل فى هذا الرأى نذكره ونوضح ما فيه ، ونحقق مدى صحة ما نسب إلى هؤلاء وبماذا نرد عليهم .

أولاً : قول الخارجين عن الملة الإسلامية ، كما أطلق عليهم الجرجانى شارح المواقف .

١ - قالوا : لو كان العقاب فى النار دائما لكانت الحياة باقية دائماً لأن

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة ، وراجع القصيدة النونية لابن القيم ٣٤/١ شرح وتعليق د / هراس .

(٢) شرح المواقف ٩٠٧/٨ .

(٣) حادى الأرواح لابن القيم صـ٢٥٢ ، معارج القبول لابن حكمى صـ١٤٦ ، ١٤٧ وشرح الطحاوية لابن أبى العز صـ ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

تعذيب غير الحي غير ممكن فيلزم دوام الحياة مع دوام الإحراق وإن دوام الإحراق مع بقاء الحياة خروج عن المعقول [1] .

الجواب : أن هذا ممنوع فإنا لا نسلم أن دوام الحياة مع دوام الاحراق غير معقول ، إنما يكون غير معقول لو كان اعتدال المزاج شرطاً للحياة وهو ممنوع فإن اعتدال المزاج ليس شرطاً لبقاء الحياة بل الحياة باقية بإبقاء الفاعل المختار .

وأيضا : فإن من الحيوانات ما يعيش في النار ويلتذ بها كالحيوان المسمى " بسمندر " فلا يبعد أن يجعل الله تعالى بدن الكافر بحيث يتألم بالنار ولا يتهرى ولا يحترق ولا يموت بالنار [2] .

٢ - قالوا : إن البدن مؤلف من العناصر الأربعة الأرض والماء والهواء والنار ، والحرارة لا تزال تنقص الرطوبة المتناهية التى هي فى البدن حتى تزول الرطوبة بالكلية وتفضى إلى إنطفاء الحرارة الذى يؤدى إلى خراب البدن فلا تبقى الحياة ولا يدوم العقاب [3] .

أجاب أهل السنة : بأن فناء الرطوبة بالنار غير واجب عندنا بل هو بإفناء الله تعالى إياها بقدرته وقد لا يفنيها ، أو يفنيها ويخلق بدلاً منها مثلها ، فلا تتفتت الأجزاء ، ولا يلزم زوال الرطوبة بالكلية ولا خراب البدن وزوال الحياة بل تدوم الحياة [4] فلما بطلت أدلتهم التي استدلوا بها بطل كلامهم بفناء النار .

ثانياً : قول اليهود فى النار :

قالوا إن أهلها يعذبون فيها إلى قت محدود ، ثم يخرجون منها ، ويخلفهم

---

(١) شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار صـ ٢٢٤ طبعة المطبعة الخيرية بمصر طبعة أولى ١٣٢٣هـ ، شرح المواقف ٣٠٧/٨ .

(٢) شرح مطالع الأنظار صـ ٢٢٥ ، شرح المواقف ٣٠٨/٨ .

(٣ ، ٤) المرجعان السابقان صـ ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٣٠٨/٨ بتصرف .

فيها قوم آخرون كما قص الله تعالى ذلك عنهم فى سورة البقرة إذ يقول تعالى حكاية عنهم ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ﴾ ثم رد عليهم ذلك بقوله ﴿ قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده ۝ أم تقولون على الله ما لا تعلمون * بلي من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فألئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [1] .

وقال الإمام البخارى : حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله – ﷺ – شاة فيها سم ، فقال رسول الله – ﷺ – اجمعوا لى من كان ههنا من اليهود ، فجمعوا له ، فقال لهم رسول الله – من أبوكم ؟ قالوا أبونا فلان ، فقال رسول الله كذبتم فقالوا صدقت وبررت . فقال صلى الله عليه وسلم : هل أنتم صادقى عن شيء ان سألتكم عنه ؟ فقالوا نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته لأبينا . قال لهم رسول الله – ﷺ – من أهل النار ؟ فقالوا نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها . فقال لهم رسول الله – ﷺ – : اخسئوا فيها والله لا نخلفكم فيها أبداً ... الحديث » [2] .

وقال تعالى حكاية عنهم ﴿ ألم تر إلي الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلي كتاب الله ليحكم بينهم ۝ ثم يتولي فريق منهم وهم معرضون ، ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ [3] .

---

(١) سورة البقرة : ٨٠ ، ٨١ .

(٢) معارج القبول صـ ١٤٦ ، ١٤٧ . مرجع سابق وينظر الحديث فى صحيح البخارى كتاب الطب باب ما يذكر فى سم النبى ﷺ ١٨٤٣/٤ .

(٣) سورة الأعراف : ٤٠ .

قال ابن القيم : فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به ، وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام على فساده قال تعالى : ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ وقال ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ﴾ وقال تعالى ﴿ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ قال : وهذا أبلغ ما يكون فى الاخبار عن استحالة دخولهم الجنة [1] .

وإذا استحال دخولهم الجنة كان بقاؤهم فى النار وخلودهم فيها أبداً هو مثواهم ومقامهم الأخير لا يخرجون منها حتى يلج الجمل فى سم الخياط وما هم بخارجين منها .

ثالثاً : قول إمام الاتحادية " ابن عربى " .

إن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم [2] وقد احتج على كلامه هذا فى كتابه (فصوص الحكم) فقال : الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد والحضرة الالهية تطلب الثناء المحمود بالذات فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ﴾ [3] لم يقل وعيده بل قال ﴿ ويتجاوز عن سيئاتهم ﴾ مع أنه توعد على ذلك ، وأثنى على اسماعيل [4] بأنه كان صادق الوعد وقد زال الامكان فى حق الحق لما فيه من طلب المرجح :

---

(١) حادى الأرواح صـ ٢٥٢ ، ٢٥٣ مرجع سابق .
(٢) معارك القبول صـ ١٤٧ .
(٣) سورة إبراهيم : ٤٧ .
(٤) يعنى باسماعيل نبى الله اسماعيل بن إبراهيم خليل الله قال تعالى { واذكر فى الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد .. } سورة مريم : ٥٤ .
قوله « وقد زال الامكان فى حق الحق .. » يعنى أن تحقق وعد الله تعالى لم يعد فى حيز الامكان بل أنه رجح تحققه .

وقال :

فلم يبق إلا صـادق الوعـد وحـده	ومـالو عـيـد الحق عين تعـاين
وإن دخلوا دار الشـقـاء فـإنهم	على لذة فـيـهـا نعـيم مـبـاين
نعـيم جنان الخلد والأمـر واحـد	وبينهـمـا عند التـجلى تبـاين
يسـمى عـذابا من عـذوبة طعـمـه	وذاك له كالقشر والقشر صاين [1]

ومن يتدبر كلام ابن عربى يجد أنه على النقيض تماماً من رأى المعتزلة فى هذه المسألة فبينما هو يرى أن الله تعالى لا يجوز تخلف وعده وأنه قد وعد بتجاوزه عن سيئاتهم فلا يخلد أهل النار فيها ...

نجد أن المعتزلة يقولون لا يجوز على الله أن يخلف وعيده بل يجب عليه تعذيب من توعده بالعذاب ، فلا ينجو من النار من دخلها أصلاً عندهم ؛ بل إنه يخلد فيها أبداً ولا فرق عندهم بين الكافر والعاصى بل هما سواء فى الخلود فى النار .

والفريقان مخالفان لما علم من الدين بالضرورة وسوف أتناول كلام المعتزلة وأرد على دعواهم الباطلة . فالجنة والنار داران باقيتان لا تفنيان ولا يفنى أهلهما .

رابعاً : قول شيخ الإسلام ابن تيمية بفناء النار :

وقد نسب إليه هذا القول تلميذه ابن القيم فى كتابه حادى الأرواح [2] وهو بصدد تعداد الأقوال فى أبدية النار ودوامها قال : فقال شيخ الإسلام : فيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع فى ذلك معروف عن التابعين . قال ابن القيم

---

(١) حادى الأرواح صـ ٢٥٢ ، مرجع سابق .
(٢) من صـ ٢٥٣ - ٢٥٤ .

قلت ههنا أقوال سبعة ... ثم قال : « (السابع) قول من يقول بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه ثم تفنى ويزول عذابها ، قال شيخ الإسلام : وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم » .

ثم ذكر ابن تيمية [1] ما رواه عبد بن حميد فى تفسيره بسنده عن الحسن قال : قال عمر « لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه » .

وقد اعتمد ابن تيمية فى قوله هذا على أدلة وأقوال الصحابة – رضى الله عنهم – وزعم أنها تؤيد رأيه وتؤيد مدعاه . ولكنها فى حقيقتها أدلة ضعيفة مردودة تتبعها " الصنعانى " فى كتابه " رفع الاستار " وفندها جميعاً وقال : « وبعد تحقيقنا لما أسلفناه وإحاطتك علماً بما سقناه تعلم أن هؤلاء الأربعة من الصحابة الذين هم عمر وابن مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد الذين عين شيخ الإسلام أسماءهم من الصحابة فى صدر المسألة وذكر أنه نقل عنهم القول بفناء النار وذهابها وتلاشيها هم بريئون من هذا القول ومن نسبته فناء النار إليهم براءة الذئب من دم ابن يعقوب واستدل لهم بما إدعاه منسوباً إليهم بما لا مساس له بالدعوى

(١) وقلت هنا وذكر ابن تيمية ما رواه عبد بن حميد .. وليس ابن القيم هو الذى ذكر ما رواه عبد ابن حميد ولكن ابن القيم قاله على لسان شيخه بدليل قوله قال شيخ الإسلام وقد نقل هذا القول عمر ... فالكلام لابن تيمية وليس ابن القيم كما تصوره الدكتور / طه الدسوقى حبيش فى تحقيقه لكتاب الاعتبار ببقاء الجنة والنار للإمام تقي الدين السبكى . راجع صـ١٤ من هذا الكتاب وقارنه بصـ ٢٥٤ من كتاب حادى الأرواح لابن القيم . وهذا لا ينقص من قدر أ . د / حبيش فقد أجاد فى عرضه وتحقيقه لهذا الكتاب والتعليق عليه .

كما عرفت وحينئذ يعلم أنه ليس معه فى دعواه بفناء النار أحد من الصحابة الذين عينهم »[1] .

ثم بين الصنعانى أن ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية لم يقل به أحد من السلف ولا من الخلف فقال : « وأنه ليس فى يد شيخ الإسلام شيء من كتاب ولا من سنة ولا من صحابى كما قررناه فليس فى يده إلا دعوى بغير برهان لا يقول بها ذوو الشأن ولا يعتمد عليها أهل الاتقان »[2] .

تعقيب : بعد ثبوت القول بفناء النار لشيخ الإسلام ابن تيمية وثبوت براءة الصحابة الأربعة الذين استدل بهم فى دعواه بفناء النار وذكره أنه نقل عنهم هذا القول كما بين ذلك الصنعانى فى كتابه رفع الاستار ، كما نفى ابن كثير صدور هذا الكلام عن هؤلاء الصحابة ، ووصفه لهذه الكلام بالغرابة ووصفه للحديث الذى ورد في معجم الطبراني الكبير فى هذه المسألة بأنه حديث غريب رواه الطبرانى عن أبى إمامة صدى بن عجلان الباهلى ولكن سنده ضعيف[3] .

إلا أنه قد ثبت له قول آخر فى هذه المسألة وهو القول ببقاء النار فقد سئل رحمه الله عن حديث أنس بن مالك عن النبى – ﷺ – أنه قال : سبعة لا تموت ولا تفنى ولا تذوق طعم الفناء الجنة ، وسكانها ، والنار ، وسكانها ، واللوح ، والقلم ، والكرسى فهل هذا الحديث صحيح أولا ؟ فأجاب بأن هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النبي – ﷺ – وإنما هو كلام بعض العلماء . وقد اتفق سلف الأمة

---

(١) رفع الاستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للصنعانى صـ ٨٠ تحقيق الشيخ ناصر الألبانى المكتب الإسلامى ط أولى ١٩٨٤م .
(٢) المرجع السابق صـ ١١١ .
(٣) تفسير ابن كثير ٢/٤٦٠ ط عيسى الحلبى .

وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات مما لا يعدم ولا يفنى بالكلية ، كالجنة والنار والعرش ، وغير ذلك ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين [1] فهذا تصريح من ابن تيمية ببقاء الجنة والنار وعدم فنائهما ، ولكن الذى لا نستطيع أن نجزم به هو أن هذا القول هو آخر أقواله ولكن نقول إن له فى المسألة رأيان فلعل الرأى الثانى وهو قوله ببقاء النار هو آخر أقواله وهذا من باب حسن الظن بالمسلمين .

خامساً : ما نسب إلى ابن القيم من القول بفناء النار :

إن من يطالع كتابى حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ، وشفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم وما أورده فيهما من الحديث عن فناء النار وإقامة الحجة على ذلك من الكتاب والسنة ، وبيانه لأوجه الدلالة من هذه الأدلة على فناء النار ، وإيراده كلام أصحاب هذا القول وردهم على أدلة القائلين ببقاء النار ، ثم عقده مقارنة بين دوام الجنة ودوام النار فى الشرع والعقل ، وهذا يتضح من قوله : « ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعاً وعقلاً وذلك يظهر من وجوه » [2] ثم أخذ في ذكر هذه الوجوه الوجه تلو الآخر حتى توصل إلى أن الفرق بين دوام الجنة ودوام النار من خمسة وعشرين وجهاً ، وأوضح من خلالها أن كون الجنة أبدية لا يستلزم كون النار أبدية كذلك [3] .

---

(١) مجموع الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٣٠٧/١٨ (٢٠) جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى – مطابع الرياض الطبعة الأولى .
(٢) حادى الأرواح لابن القيم صـ ٣٦١ مرجع سابق .
(٣) المرجع السابق صـ ٣٦١ وما بعدها .

وقد فهم الناس من ذلك أن ابن القيم يقول بفناء النار لعدم رده علي هذه الوجوه ومناقشته لها ، بل إن بعض الباحثين جزم بأن ابن القيم وشيخه ابن تيمية من القائلين بفناء النار ، وقد ألف تقي الدين السبكى كتاباً للرد عليهما وهو كتاب " الاعتبار ببقاء الجنة والنار " [1] انبرى الشيخ السبكى فى هذا الكتاب لبيان ما نسبه لابن القيم من القول بفناء النار هو وشيخه ابن تيمية ، وأورد الآيات الكثيرة والمتعددة والأحاديث الصريحة ببقاء النار وخلودها وخلود أهلها فيها ، وقد أجاد الشيخ السبكى ومحقق الكتاب د / طه حبيش فى إيراد الأدلة القوية على بقاء النار وعدم فنائها ، وهذا جهد مشكور لهما ، إلا أننى أشير إلى أنه لابد من الأخذ فى الاعتبار أن الشيخ السبكى لم يطلع إلا علي كتاب حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم دون سائر مؤلفاته ، ولذلك كان كلامه في الرد على ابن القيم يحتاج إلى وقفة .

كذلك فهم المستشرق الألمانى " جولد تسهير " ان ابن القيم من القائلين بفناء النار حيث يقول : « إن ابن القيم قال بفناء النار وأنه اتبع شيخه ابن تيمية » [2] .

وقد ألف الشيخ " الصنعانى " رسالة في الموضوع نفسه يرد فيها على ابن القيم وابن تيمية وعنوانها " رفع الاستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار " [3] .

---

(١) وقد قام بتحقيقه والتعليق عليه والتقديم له أ . د / طه الدسوقى حبيش وقد وافق فضيلة الدكتور حبيش الإمام السبكى في تحامله على ابن القيم ومهاجمته وإثبات أنه من القائلين بفناء النار ؛ مع ان من نظر فى كلام ابن القيم لوجد أنه كان ينقل أقوال القائلين بفناء النار ولم يكن رأيه ؛ وهذا ما سنوضحه إن شاء الله .

(٢) المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية صـ٣٦٨ نقلاً عن ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامى للدكتور / عوض الله حجازى صـ ٢٤٠ مرجع سابق .

(٣) طبعها المكتب الإسلامى – بتحقيق الشيخ / محمد ناصر الألبانى . راجع الاعتبار ببقاء الجنة والنار صـ ٥ .

يقول الدكتور طه حبيش : « وأغلب الظن عندى أن الصنعانى قرأ هذه الرسالة التي بين أيدينا الآن – الاعتبار ببقاء الجنة والنار – وانتفع بها وإن لم يكن قد أشار إلي ذلك »[1] .

هكذا فإن ظاهر كلام ابن القيم هو القول بفناء النار وهو القول الذي فهمه العلماء عنه كما أشرنا بل إنهم يذهبون إلي أكثر من هذا فهم يرون أنه يقول بذهاب أهل النار إلى الجنة !![2]

ولكننى احقاقاً للحق وامتثالاً لقول الله تعالى : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربي ﴾[3] أقول : إنه من خلال قرآتى الواسعة فى هذا الباب وبخاصة فكر ابن القيم واطلاعى على مؤلفاته بجانب التحقيق العلمى الدقيق الذى ساقه فضيلة الدكتور / عوض الله حجازى فى بيان رأى ابن القيم في الجنة والنار وبصفة خاصة تحقيقه لما شاع عن ابن القيم من أنه قال بفناء النار ، وإيراده للنصوص التى تؤكد عدم ذهاب ابن القيم إلى القول بفناء النار ، ونصوص أخرى تدل علي ذهابه إلى امتناع دخول الكافرين الجنة ؛ فإننى أوافق فضيلة الدكتور / عوض الله حجازى فى هذا وأثبت النصوص التى جاء بها فضيلته لتبرئة ابن القيم مما نسب إليه من القول بفناء النار وأضيف إليها بعض النصوص التي تؤكد ذلك .

أولاً : النصوص الدالة على أن ابن القيم لم يكن من القائلين بفناء النار :

١ – قال صاحب معارج القبول : « وما أحسن ما قاله ابن القيم – رحمه

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .
(٢) ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامى صـ ٢٤٠ .
(٣) سورة الأنعام :١٥٢ .

الله - فى كتابه " الوابل الصيب " قال رحمه الله تعالى : ولما كان الناس ثلاث طبقات : طيب لا يشوبه خبث ، وخبيث لا طيب فيه ، وآخرون فيهم خبيث وطيب ، كانت دورهم ثلاثة : دار الطيب المحض ، ودار الخبيث المحض - وهاتان الداران لا تفنيان ، ودار لمن معه خبيث وطيب ، وهى الدار التى تفنى وهى دار العصاة ، فإنه لا يبقى فى جهنم من عصاة الموحدين أحد فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فادخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض "[1] .

ومن يتدبر هذا النص يجد أن ابن القيم صرح بأن دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض داران لا تفنيان بل إنهما يبقيان . فثبت أن النار عنده باقية وغير فانية .

٢ - قول ابن القيم فى كتابه " الكافية الشافية " :

ثمانيــة حكم البقــاء يعمـهـا	من الخلق والباقون فى حيز العدم
هى العـرش والكرسى ونار وجنة	وعجب وأرواح وكذا اللوح والقلم [2]

وبالنظر فى البيتين السابقين نجد أن ابن القيم قد جعل الجنة والنار من مخلوقات الله التى يعمها حكم البقاء ، ويبدو أن هذا الكتاب كان من آخر ما ألف ابن القيم ، وقد ذكر ابن رجب الحنبلى ما يشعر بذلك فقال وهو بصدد كلامه عن

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم صـ ٢١ مكتبة المتنبى ، معارج القبول / للشيخ حافظ بن أحمد حكمى صـ ١٤٦ مرجع سابق ، ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامى صـ ٢٤٠ .

(٢) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم . لأحمد بن إبراهيم بن عيسى ٩٦/١ ط المكتب الإسلامى .

ابن القيم : « ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة وأشياء من تصانيفه وغيرها »[1] .

٣ - يقول ابن القيم وهو بصدد تقريره عقيدة أهل السنة والجماعة في كتابه " اجتماع الجيوش الإسلامية " ويرى أن الأمة قد اجتمعت علي هذه العقيدة وأن خلافها بدعة وضلالة وفي ضمن هذه العقيدة يقول ما نصه : « وأن الجنة والنار داران قد خلقتا ، أعدت الجنة للمتقين ، والنار للكافرين الجاحدين ، ولا يفنيان »[2] .

فهذا النص يدل على أن عقيدة أهل السنة والسلف الصالح هي بقاء الجنة والنار وعدم فنائهما . وهو قول ابن القيم أيضا .

٤ - أن ابن القيم بعد أن ذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعاً وعقلاً وبين آراء الفريقين قال : « فهذا نهاية أقدام الفريقين في هذه المسألة ولعلك لا تظفر به في غير هذا الكتاب ، فإن قيل فإلى أين أنهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن : التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ؟

قيل إلى قوله تبارك وتعالى : ﴿ إن ربك فعال لما يريد ﴾ وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين على بن أبي طالب - رضي الله عنه - فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء وقال ثم يفعل الله ما يشاء ، بل وإلى ههنا انتهت أقدام الخلائق وما ذكرنا في هذه المسألة بل في الكتاب

---

(١) الذيل علي طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ٤٤/٢ دار المعرفة بيروت ، لبنان .

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية صـ ٥٢ طبع منير . نقلاً عن ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي للدكتور عوض الله حجازي صـ ٢٤١ .

ما هو مصير عصاة المؤمنين هل هم مخلدون فى النار ؟

بعد أن تحدثنا عن مصير المؤمنين المخلصين وبينا أنهم أهل الجنة وأنهم مخلدون فيها ومنعمون بما أنعم الله عليهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وتحدثنا عن الكافرين المعاندين وما أعده الله لهم من العذاب المقيم ودخلوهم النار خالدين فيها أبداً وأنهم لا يخرجون منها ، وبينا أن الجنة وأهلها والنار وأهلها باقون ولا يفنون .. الخ .

نريد أن نتكلم الآن عن عصاة المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر طالحاً واقترفوا بعض الكبائر التى لا تخرج عن حظيرة الإسلام ، ولم يتوبوا [1] من هذه الكبائر وأدركهم الموت وهم على هذه الحالة من العصيان واقتراف الآثام فما حكمهم ؟ وهل هم مخلدون فى النار ؟

اختلفت آراء علماء الكلام فى ذلك : فيرى أهل السنة أن فاسق أهل القبلة لا ينتفى عنه مطلق الإيمان بفسوقه أو معصيته ، ولا يوصف بالإيمان التام ، ولكن هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته ، والمراد بالفسق هنا هو الأصغر ، وهو عمل الذنوب الكبائر التى سماها الله ورسوله فسقا كفراً وظلمات مع إجراء أحكام المؤمنين على فاعلها ، فإن الله تعالى سمى الكاذب فاسقاً فقال جل

---

(١) قلت " الذين لم يتوبوا " لأن من اقترف ذنباً ثم تاب منه وآمن وأصلح فى عمله فقد وعده الله بالمغفرة وأن يبدل سيئاته حسنات وذلك فى قوله تعالى ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق .... إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ سورة الفرقان الآيات من ٦٨ - ٧٠ .

شأنه ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾[1] ومع هذه لم يخرج ذلك الرجل الذى نزلت فيه الآية من الدين بالكلية ، ولم ينف عنه الإيمان مطلقاً ولم يمنع من جريان أحكام المؤمنين فيه ، وكذلك قال رسول الله - ﷺ - «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[2] وقد استبّ كثير من الصحابة على عهده ﷺ فوعظهم وأصلح بينهم ولم يكفرهم بل بقوا أنصاره ووزراءه فى الدين ، وقال الله تعالى : ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما علي الأخري فقاتلوا التي تبغي حتي تفيء إلي أمر الله﴾[3] فسمى الله تعالى كلا من الطائفتين المقتتلتين مؤمنة وأمر بالاصلاح بينهما ولو بقتال الباغية . ثم قال تعالى ﴿فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ ثم لم ينف عنهم الأخوة - أخوة الإيمان - لا فيما بين المقتتلين ولا فيما بينهما وبين بقية المؤمنين بل أثبت أخوة الإيمان لهم مطلقاً فقال عز وجل ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ .

ولا منافاة بين تسمية العمل فسقاً أو فاعله فاسقاً وبين تسميته مسلماً وجريان أحكام المسلمين عليه ، بأن يُغسل ويكفن ويُصلى عليه ويُدفن فى مدافن المسلمين لأنه ليس كل فسق يكون كفراً ولا كل ما سمى كفراً وظلماً يكون مخرجاً من الملة .

ونظراً لخلط الخوارج والمعتزلة وأضرابهم بين الفسق الأصغر والفسق الأكبر

---

(١) سورة الحجرات آية ٦ .
(٢) رواه مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود كتاب الإيمان باب بيان قول النبى ﷺ سباب المسلم فسوق ط/٨١ الطبعة السابقة .
(٣) سورة الحجرات آية ٩ .

وتشبثهم بنصوص الكفر والفسوق الأصغر واستدلالهم به على الأكبر الذى يخرج عن الملة ، وهذا مما جنته أفهامهم الفاسدة وقلوبهم الغلف فضربوا النصوص بعضها ببعض واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .

قالت الخوارج : المصر على كبيرة من قتل أو زنى أو شرب خمر أو ربا .. كافر مرتد خارج عن الدين بالكلية لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ، ولو أقر لله تعالى بالتوحيد ، والرسول - ﷺ - بالرسالة والبلاغ ، وأقام أركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج وجاهد فى سبيل الله ، وهو مخلد فى النار مع إبليس وجنوده وفرعون وهامان وقارون (١) .

وقالت المعتزلة : مرتكب الكبيرة الذى مات من غير توبة ليس مؤمنا ولا كافراً بل هو فاسق وهو في منزلة بين المنزلتين ، فجعلوا الفسق منزلة بين المنزلتين (الإيمان والكفر) ولكنهم لم يحكموا له بمنزلة فى الآخرة بين المنزلتين (الجنة والنار) ؛ بل قضوا بتخليده فى النار أبداً كالذين من قبلهم ، فوافقوا الخوارج مآلاً وخالفوهم مقالاً (٢) ، أى أنهم شاركوا الخوارج فى الحكم عليه بأنه مخلد فى النار وخالفوهم في أنه فى منزلة بين الكفر والإيمان وهو كافر عند الخوارج .

وفى المقابل نرى أن المرجئة يقولون أنه لا تضر مع الإيمان معصية كما أنه لا تنفع مع الكفر طاعة ، ولا يدخل النار أحد بذنب دون الكفر بالكلية ، ولا تفاضل عندهم بين إيمان الفاسق الموحد وبين إيمان أبى بكر وعمر ، فالإيمان عندهم لايزيد

---

(١) معارج القبول صـ ٢١٤ ، ٢١٥ مرجع سابق ، مقالات الإسلاميين صـ٤٧٤ مرجع سابق .
(٢) المرجع السابق صـ ٢١٥ .

ولا ينقص ، ولا فرق عندهم بين المؤمنين والمنافقين ، إذ الكل مستوفى النطق بالشهادتين .

ويمكن إجمال قول أهل السنة في دحض شبه المرجئة ومن خالفوهم أنه إذا كان الله قد بعث رسلاً مبشرين ومنذرين فبينوا للناس ما شرع الله لهم من الدين فكان منهم المؤمن ومنهم الكافر ، وصح في العقل والنقل أن لهم جميعاً معاد ﴿ قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ﴾ (١) وأنهم إلى ربهم يحشرون ليثاب المحسن على إحسانه ويجازى المسيء على إساءته ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ (٢) وإذا كان عقاب المذنب مما تصرح به الآيات فإن ذهاب المرجئة إلى أن من أقرّ بالشهادتين وأتى بكل المعاصى لم يدخل النار أصلا (٣) هو محض ابتداع .

ويصف أبو الفرج ابن الجوزى المرجئة فى هذه المسألة بأنهم خالفوا الأحاديث الصحاح فى إخراج الموحدين من النار ويسند إلى " ابن عقيل الحنبلى " قوله « ما أشبه أن يكون واضع الارجاء زنديقا ، فإن صلاح العالم بإثبات الوعيد واعتقاده الجزاء ، فالمرجئة لما لم يمكنهم جحد الصانع لما فيه من نفور الناس ومخالفة العقل أسقطوا فائدة الاثبات وهى الخشية والمراقبة وهدموا سياسة الشرع فهم شر طائفة على الإسلام (٤) .

---

(١) سورة سبأ : ٣٠ .
(٢) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ .
(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزى صـ ٨١ مطبعة المنيرة بدون تاريخ نقلاً عن كتاب أبو الفروج بن الجوزى وآراؤه الكلامية والأخلاقية د / آمنة نصير صـ ١٧١ ط دار الشروق الطبعة الأولى ١٩٨٧م .
(٤) المرجع السابق نفس الصفحة .

أما ما ذهب إليه الخوارج والمعتزلة من أن مرتكب الكبيرة الذى مات ولم يتب عنها مخلد فى النار ولا يخرج منها أبد الآباد بإذن الله [1] .

فهو مردود بما ثبت في كتاب الله سنة رسوله - ﷺ - وبما أجمع عليه السلف الصالح وأهل السنة والجماعة من أن الفاسق بالمعاصى التى لا توجب كفرا غير مخلد فى النار بل إن أمره مردود إلى الله تعالى فى الجزاء والعفو وهو تحت مشيئة الله تعالي النافذة فى خلقه إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة من أول وهلة برحمته وفضله ، وإن شاء جازاه وعاقبه بقدر ذنبه الذى مات مصرًا عليه كما فى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال وحوله عصابة من أصحابه : « بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فى الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله عله فهو إلى الله : إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه » فبايعناه على ذلك [2] .

قال صاحب معارج القبول وهو بصدد حديثه عن العصاة من أهل القبلة :

« إن الذى أثبتته الآيات القرآنية والسنن النبوية ودرج عليه السلف الصالح والصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أئمة التفسير والحديث والسنة أن العصاة من أهل التوحيد على ثلاث طبقات :

---

(١) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح صـ ٢٥٢ ، شرح الطحاوية صـ ٢٥٩ مرجعان سابقان .

(٢) صحيح البخارى كتاب الايمان باب ١١ ، جـ١/١٠٥ .

الأولى : قوم رجحت حسناتهم بسيئاتهم فأولئك يدخلون الجنة من أول وهلة لا تمسهم النار أبداً .

الطبقة الثانية : قوم تساوت حسناتهم وسيآتهم وتكافأت فقصرت بهم سيآتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار ، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين ذكر الله تعالى أنهم يوقفون بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقفوا ثم يؤذن لهم في دخول الجنة ، كما قال تبارك وتعالى بعد أن دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار﴿ ونادي أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ قالوا نعم ... وبينهما حجاب وعلي الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ، ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم ، لم يدخلوها وهم يطمعون ، وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ، ونادي أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغني عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ، أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته ، إدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾[1] .

الطبقة الثالثة : قوم لقوا الله تعالى مصرّين علي كبائر الإثم والفواحش ، ومعهم أصل التوحيد فرجحت سيئاتهم بحسناتهم ، فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم ، فمنهم من تأخذه إلي كعبيه ومنهم ... حتى إن منهم من لم يحرم منه علي النار إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، وهؤلاء هم الذين يأذن الله تعالى بالشفاعة فيهم لنبينا محمد - ﷺ - ،[2] .

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٤٤ إلى ٤٩ .

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول صـ٢١٦ ، ٢١٧ . مرجع سابق .

مما سبق يتضح أن من ارتكب كبيرة من أهل التوحيد ثم لم يتب منها فإنه يدخل النار بقدر ذنوبه ثم يخرجه الله تعالى منها ولا يخلد فيها .

أدلة المعتزلة والخوارج والرد عليها :

استدلت المعتزلة والخوارج على أن صاحب الكبيرة إذا لم يتب عنها مخلد في النار ولا يخرج منها أبداً بأدلة عقلية ونقلية :

أولاً : الدليل العقلي : وهو العمدة عندهم كما قال صاحب المواقف . قالوا إن الفاسق يستحق العقاب بفسقه ، واستحقاق العقاب بل العقاب مضرة خالصة لا يشوبها ما يخالفها وهي دائمة لا تنقطع أبداً ، واستحقاق الثواب ؛ بل الثواب منفعة خالصة عن الشوائب وهي دائمة ، والجمع بين استحقاقهما محال ، كما أن الجمع بينهما محال ، فإذا ثبت للفاسق استحقاق العقاب وجب أن يزول عنه استحقاق الثواب فيكون عذابه مخلداً [1] .

أجاب أهل السنة عن هذا الدليل بمنع الاستحقاق ؛ فإن المطيع لا يستحق بطاعته ثواباً ، والعاصي لا يستحق بمعصيته عقاباً ؛ إذ قد ثبت أنه لا يجب لأحد على الله حق ، ومنع قيد الدوام ، ثم إنا بعد تسليمنالما ذكرتم من صفات الثواب والعقاب نقول : إنه قد يتساقطان ويدخل صاحب الكبيرة الجنة تفضلاً كما قال تعالى حكاية عن أهل الجنة ﴿ الذي أحلنا دار المقامة من فضله ﴾ [2] أو بترجيح جانب الثواب على جانب العقاب لأن السيئة لا تجزى إلا بمثلها والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة من الأمثال والله يضاعف لمن يشاء [3] .

---

(١) شرح المواقف ٣٠٤/٨ بتصرف .

(٢) سورة فاطر : ٣٥ .

(٣) المرجع السابق ٣٠٤/٨ ، ٣٠٥ بتصرف .

ثانياً :الدليل النقلى : استدلوا على مدعاهم بالآيات التى تشعر بالخلود كما فى قوله تعالى ﴿ من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾(١) وقوله ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ﴾(٢) وقوله تعالى ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها ﴾(٣) والخلود حقيقة فى الدوام لقوله تعالى ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾(٤) مع أنه تعالى قد جعل للكثير منهم المكث الطويل فلو حمل الخلود علي المكث الطويل لم تصدق هذه الآيات .

الجواب : أنا لا نسلم أن من له حسنات من الإيمان والطاعات فقد أحاطت به خطيئته ؛ بل إن من أحاطت به خطيئته لا يكون له حسنة أصلاً ، ومن كانت له حسنات كانت خطيئته من بعض جوانبه لا محيطة به ، ولا نسلم أن من اكتسب كبيرة فقد تعدى حدوده ؛ بل تعدى بعض حدوده والمراد بقوله تعالى ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً ... ﴾ أى من قتل مؤمناً لأنه مؤمن ولا يكون ذلك القاتل إلا كافراً فلا اشكال فى خلوده فى النار لأنه كافر .

فالآيات المذكورة لا تتناول صاحب الكبيرة . ولئن سلمنا تناولها إياه فإن الخلود المذكور فيها المراد به المكث الطويل وما ذكرتم من الاستدلال على أنه حقيقة فى الدوام معارض بما يقال في الاستعمال الشائع حبس مخلد ، ووقف مخلد ، وخلد الله ملكه ، والمراد طول المدة بلا شبهة فالأولى حينئذ أن يجعل حقيقة فى المكث الطويل سواء أكان معه دوام أم لا (٥) .

---

(١) سورة البقرة : ٨١ .
(٢) سورة النساء من الآية : ٩٣ .
(٣) سورة النساء : ١٤ .
(٤) سورة الأنبياء : ٣٤ .
(٥) المرجع السابق ٨/٢٠٥ ، ٢٠٦ بتصرف .

تعقيب :

مما سبق يتضح أن الخوارج والمعتزلة يذهبون إلى القول ببقاء النار وبقاء من دخلها فيها غير أنهم لا يفرقون من دخلها وهو كافر بالله تعالى مشرك به ، وبين من دخلها من عصاة المؤمنين المقر بالتوحيد المؤدى لفرائض الإسلام الحنيف فالخوارج يرون خلود النار ومن دخلها لأن من ارتكب كبيرة - فى نظرهم - كافر فلا فرق بينه وبين الكافر عندهم وهو مخلد فى النار ، ونحن لا ننازعهم فى القول بالخلود في النار طالما أن كل من يدخلها كافر عندهم ، وإنما ننازعهم فى الحكم علي مرتكب الكبيرة الذى مات من غير توبة بأنه كافر فكيف يتثنى لهم الحكم عليه بالكفر مع أنه ينطق بالشهادتين ويؤدى أركان الإسلام ، وما الفرق بينه وبين الذين يشركون بالله تعالى ويكفرون به وبآياته وكتبه ورسله واليوم الآخر : هل هم سواء ؟! مع أن الله تعالى قال فى كتابه العزيز ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (١) .

وقال رسول الله - ﷺ - فى الحديث الذى رواه عنه أنس بن مالك « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان فى قلبه من الخير ما يزن بره ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان فى قلبه من الخير ما يزن ذرة » (٢) .

كما أن أحاديث الشفاعة دالة على أن عصاة المؤمنين سيخرجون من النار بشفاعة رسول الله - ﷺ - لقوله « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » (٣) وقوله

---

(١) سورة النساء : ٤٨ ، ١١٥ .
(٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة ١٨٢/١ دار احياء الكتب العربية بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٢ .
(٣) المرجع السابق جـ٦٤/٣ .

ﷺ فيما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه « ... أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه »[1] فالمقبول من كلامهم هو خلود النار وخلود أهلها وهم الكفار والمشركين فيها ، أما عصاة المؤمنين فإنهم غير مخلدين فى النار بل إنهم يخرجون منها بإذن الله تعالى بعد انقضاء المدة التى كتبها الله عليهم لتطهيرهم من ذنوبهم التي ارتكبوها في الدنيا ثم يدخلون الجنة خالدين فيها أبداً .

أما المعتزلة فانهم خالفوا الخوارج مقالاً حيث إنهم لم يحكموا على مرتكب الكبيرة الذى مات من غير توبة بالكفر كما قالت الخوارج بل قالوا إنه فى منزلة بين المنزلتين ووافقوهم مآلاً حيث إنهم اشتركوا فى القول بأنه مخلد فى النار ، والمعتزلة يدعون أنهم بقولهم هذا لم يخرجوا عن إجماع الأمة وهذا ما يوضحه أحد شيوخهم وهو (أبو الحسين الخياط) حيث قال : « إن واصل بن عطاء – رحمه الله – لم يحدث قولاً لم تكن الأمة تقول به فيكون قد خرج من الإجماع ، لكنه وجد الأمة مجمعة على تسمية أهل الكبائر بالفسق والفجور ، مختلف فيما سوى ذلك من أسمائهم فأخذ بما أجمعوا عليه ، وأمسك عما اختلفوا فيه ... »[2] .

ونحن نجيب على أبى الحسين الخياط فى هذا القول ، بأن خروج المعتزلة عن إجماع الأمة لم يكن بتفسيق مرتكب الكبيرة وإنما هو بقولهم إنه مخلد فى النار

---

(١) فتح البارى – كتاب الرقاق – باب صفة الجنة والنار ٤١٨/١١ طبعة المكتبة السلفية الطبعة الأولى القاهرة .

(٢) الانتصار والرد على ابن الراوندى لأبى الحسين الخياط صـ١٦٥ جـ١ دار النهضة الإسلامية – بيروت .

فكيف يخلد فى النار مع أنه ليس كافراً ، وينطق بالشهادتين ، والخلود في النار خاص بالكفار فما الفرق بينه وبين الكفار ؟ ، لا تقول إنه في دركة فوق دركة الكفار فهذا أمر غيبي لا مجال للعقل فيه ولا يعلمه إلا الله ، وهذا ما يؤكده القاضى عبد الجبار شيخ المعتزلة حيث يقول « واعلم أن هذه المسألة شرعية لا مجال للعقل فيها لأنه كلام فى مقادير الثواب والعقاب ، وهذا لا يعلم بالعقل »(١) .

خلاصة القول : أن كلام الخوارج والمعتزلة فى أن من دخل النار لا يخرج منها أبد الآباد كلام مردود ولا يصح إلا فى حق الكفار والمشركين فقط ، أما عصاة المؤمنين فلا يخلدون فى النار بل يخرجون منها بعد مكثهم فيها مدة لتنقيتهم من الذنوب والآثام ويدخلون الجنة خالدين فيها .

وهذا القول هو الراجح عندنا وعليه سلف الأمة وجمهور أهل السنة والجماعة .

هل أطفال المشركين فى النار ؟

بعد إتفاق المسلمين على أن الكفار مخلدون فى النار اختلفوا فى أطفالهم هل هم من أهل النار ؟

قال جلال الدوانى : « أما الأطفال فالجمهور على أن أطفال المشركين فى النار لما روى أن خديجة – رضى الله عنها – سألت النبى – ﷺ – عن أطفالها الذين ماتوا فى الجاهلية فقال عليه السلام – هم فى النار ، وقيل من علم الله منه

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار صـ ١٣٨ – ١٣٩ د / عبد الكريم عثمان – مكتبة وهبة ١٩٦٥ م .

الإيمان والطاعة عل تقدير بلوغه ففي الجنة ومن علم منه الكفر والعصيان ففى النار »[1] .

وقال ابن المرتضى اليمانى « إن الله تعالى لا يعذب أطفال المشركين بذنوب آبائهم ولا بغير ذنب ... وهو مذهب جماهير الإسلام بل لم يعرف فيه خلاف بين السلف فإنهم كانوا مجمعين على عدل الله تعالى وحكمته فى الجملة والإجماع على ذلك يقتضى المنع من كل ما يضاد »[2] .

وقد اختار الرأى الأخير كل من البخاري فى صحيحه والنووى فى شرح صحيح مسلم وقواه واحتج عليه ونسبه إلى المحققين ، وكذلك اختاره على بن عبد الكافى الشهير بالسبكى وآخرون[3] .

واحتج النووى وغيره على ذلك بقوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ الاسراء / ١٥ ، وبما رواه البخارى فى صحيحه عن سمرة فى حديثه الطويل وفيه ذكر رؤيا النبى - ﷺ - وفيها ما لفظه : والشيخ فى أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله أولاد الناس ، قالوا يا رسول الله وأولاد المشركين قال : وأولاد المشركين[4] .

قال ابن المرتضى اليمانى : « وأما كونه رؤيا فلا يضر لوجهين :

أحدهما : أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحى وحق ولذلك عزم الخليل عليه السلام على ذبح ولده بسببها وهذا إجماع .

---

(١) حاشية الكلنبوى على شرح جلال الدوانى للعقائد العضدية جـ٢/٢٦٨ دار سعاد ت ١٣١٦ .
(٢) إيثار الحق على الخلق لابن المرتضى اليماني صـ ٢٧٣ ، ٢٧٤ ط دار الكتاب الإسلامى بدون تاريخ .
(٣) المرجع السابق صـ٢٧٤ .
(٤) فتح البارى ٣/٢٤٦ مرجع سابق .

وثانيهما : أن هذا السؤال عن أولاد المشركين وجوابه كان فى اليقظة لا فى الرؤيا »[1] .

وقد ذهب حسن جلبى فى حاشيته على شرح المواقف إلى أنهم ليسوا من أهل النار فقال « وأما دخولهم تحت العمومات الواردة فى حق الكفار فممنوع لأنهم ليسوا بكافرين واعطاهم حكم الكافرين فى الدنيا لتبعية أبويهم لا يقتضى تبعيتهم إياهم فى الخلود فى النار »[2] .

وقالت المعتزلة : إنهم لا يعذبون بل هم خدام أهل الجنة لقوله تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [3] ولقوله تعالى ﴿ ولا تجزون إلا بما كنتم تعملون ﴾ .

قال جلال الدين الدوانى : هذا الدليل لا يدل على كونهم خدام أهل الجنة فلابد من دليل آخر[4] فرد عليه المرجانى فى حاشيته وقال « قوله فلابد لهم من دليل آخر » أخرج الطبرانى فى المعجم الأوسط بسندحسن عن سمرة وأنس : (أولاد المشركين خدام أهل الجنة) وفى رواية بلفظ (أطفال المشركين) [5] ورواه ابن منده فى المعرفة ، وأبو نعيم فى الحلية وأبو يعلى فى مسنده وحكم عليه الشيخ ناصر الدين الألبانى بالصحة بمجموع طرقه [6] .

---

(١) إيثار الحق علي الخلق صـ٣٧٤ .
(٢) شرح المواقف جـ٨/٣٠٧ حاشية حسن جلبى .
(٣) سورة الإسراء : ١٥ .
(٤) حاشية الكلنبوى ٢/٢٦٨ مرجع سابق .
(٥) المرجع السابق ٢/١٦٩ هامش .
(٦) سلسة الأحاديث الصحيحة لناصر الدين الألبانى نشر المكتب الإسلامى بيروت الطبعة الأولى .

والإمام البخارى كما يقول ابن حجر كان متوقفا فى أولاد المشركين بدليل أنه بوب فى صحيحه باباً بعنوان (باب ما قيل فى أولاد المشركين) وأورد فيه حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : « سئل رسول الله - ﷺ - عن أولاد المشركين ، فقال : الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين »[1] .

وقد جزم بعد هذا فى تفسير سورة الروم من صحيحه بما يدل علي اختيار القول الصائر إلى أنهم فى الجنة ثم ذكر الحديث المرجح لكونهم فى الجنة ولفظه : « .. وأما الولدان الذين حوله فكل مولود يولد على الفطرة ، فقال بعض المسلمين : وأولاد المشركين ؟ فقال : وأولاد المشركين »[2] .

والقول بأنهم فى الجنة هو قول جمع من أهل العلم وقد رجحه القرطبي ووفق بين النصوص التي يظهر منها التعارض فى هذا الموضوع بأن الرسول - ﷺ - قال فى أول الأمر هم مع أبائهم أي في النار ، ثم حصل منه توقف فى ذلك ، فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، ثم أوحى إليه أنه لا يعذب أحد بذنب غيره ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخري ﴾ فحكم بأنهم في الجنة[3] ، وذكر فى ذلك حديثاً رواه عبد الرازق ولكن الحديث ضعيف كما قال ابن حجر[4] .

ويشكل على هذا التوفيق الذى ذكره ابن حجر أن المسألة ليست من مسائل النظر والاجتهاد ، ولكنها مسألة غيبية لا يتكلم فيها إلا بوحى .

---

(١) فتح البارى ٢٤٦/٣ مرجع سابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) التذكرة للقرطبى صـ ٥١٥ طبعة المكتبة السلفية المدينة المنورة .
(٤) فتح البارى ٢٤٧/٣ مرجع سابق .

وقد حكى أبو الحسن الأشعرى عن أهل السنة والجماعة القول بأن أطفال المشركين فى مشيئة الله تعالى [(١)] ، ونقله البيهقى فى (الاعتقاد) عن الشافعى في حق أولاد الكفار خاصة ، قال ابن عبد البر : وهو مقتضى صنيع مالك ، وليس عنده في هذا شيء منصوص ، إلا أن أصحابه صرحوا بأن أطفال المسلمين فى الجنة وأطفال الكفار خاصة في المشيئة والحجة فى حديث (الله أعلم بما كانوا عاملين) [(٢)] .

واختاره ابن تيمية وعزا القول بذلك إلى أبى الحسن الأشعرى والإمام أحمد ثم قال شيخ الإسلام : « والصواب أن يقال فيهم : الله أعلم بما كانوا عاملين ولا يحكم لمعين منهم بجنة ولا نار ، وقد جاء فى عدة أحاديث أنهم يوم القيامة يمتحنون فى عرصات القيامة يؤمرون وينهون ، فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار وهذا هو الذى ذكره أبو الحسن الأشعرى عن أهل السنة والجماعة » [(٣)] .

ويدل لصحة هذا القول ما ورد بشأن قصة العبد الصالح مع سيدنا موسى عليه السلام حيث قال مبيناً السر فى قتله الغلام : ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً ﴾ [(٤)] وفى صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله – ﷺ – فى الغلام الذى قتله

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلامى ابن تيمية ٢٨١/٤ – ٤٠٤ جمع ابن قاسم – طبعة المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى .
(٢) فتح البارى ٢٤٦/٣ .
(٣) مجموع الفتاوى ٣٧٢/٢٤ ، ٣٠٣/٤ مرجع سابق .
(٤) سورة الكهف : ٨٠ .

الخضر « طبع يوم طبع كافراً ، ولو ترك لأرهق أبويه طغياناً وكفراً » قال ابن تيمية معقباً على الحديث : « يعنى طبعه الله تعالى فى أم الكتاب ، أى أثبته وكتبه كافراً ، أى إنه إن عاش كفر بالفعل » .

وقد ضعف القرطبى هذا المذهب محتجاً بأن الآخرة دار جزاء لا دار ابتلاء ، فقال « ويضعفه القول بامتحانهم فى عرصات القيامة ، من جهة المعنى أن الآخرة ليست بدار تكليف وإنما هى دار جزاء : ثواب وعقاب »[1] .

وقد رد عليه ابن تيمية : بأن التكليف إنما ينقطع بدخول دار الجزاء وهى الجنة والنار ، وأما عرصات القيامة فيمتحنون فيها كما يمتحنون فى البرزخ ، فيقال لأحدهم : من ربك ، وما دينك ، ومن النبى الذى بعث فيك ؟ وقال تعالى ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾[2] .

فالمحنة لا تتوقف إلا بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، وما ذكره القرطبى من أن المعرفة بالله فى ذلك اليوم ضرورة صحيح إلا أن المحنة تكون بالأمر والنهى كما ورد فى بعض النصوص أن الله يكلفهم فى ذلك اليوم بالدخول فى النار فالذى يطيع يكون من أهل السعادة ، والذى يعصى يكون من أهل الشقاء[3] .

---

(١) التذكرة للقرطبى صـ٥١٤ .
(٢) سورة القلم : ٤٢ .
(٣) العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة د / عمر سليمان الأشقر ٥/٢٠٠ - ٢٠٥ .

وقد عقد القاضى عبد الجبار – من شيوخ المعتزلة – فصلاً فى أنه تعالى لا يجوز أن يعذب أطفال المشركين بذنوب آبائهم ، لأن تعذيب الغير من غير ذنب ظلم والله تعالى لا يجوز أن يكون ظالماً باتفاق الأمة ، ولأنه قبيح ، والله لا يفعل القبيح لعلمه بقبحه وبغناه عنه [1] .

وقد رد على ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن الله تعالى يأمر أطفال المشركين يوم القيامة بدخول النار فلا يأتمرون ويعصون الله تعالى فيستوجبون العقوبة بذلك فقال : لم خصصتم هذا بأولاد الكفرة ، وهلا قلتم ذلك فى غيرهم من الأطفال ؟ على أن هذا يوجب أن تكون دار الآخرة دار تكليف ، والدلالة قد دلت على خلافه [2] .

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار صـ٤٧٧ مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق صـ٤١ .

كيفية نعيم أهل الجنة

وعذاب أهل النار وآراء العلماء فيه ؟

اختلفت آراء العلماء في كيفية النعيم والعذاب فمنه من يرى أن ذلك يكون للجسد ويرى الآخرون أنه للروح .

فذهب المتكلمون من الأشاعرة والمعتزلة إلى أن النعيم في الجنة والعذاب في النار يكون للجسد فقط وذلك لأن المعاد عندهم جسماني فالروح عندهم ليست من المجردات بل هي جسم سار في البدن كسريان الماء في العود الأخضر وسريان النار في الفحم ، وليست جوهراً مجرداً منفصلاً عن الجسم [1] .

وذهب الفلاسفة الإلهيون إلى أن النعيم والعذاب للروح فقط فالمعاد عندهم روحاني فقط والروح بعد انفصالها عن البدن إما سعيدة أو شقية . وذلك لأن النفس عندهم « جوهر مغاير للبدن والمزاج وبه يكون الإدراك والحركة بالإرادة وهذا الجوهر يجب ألا يكون جسماً ولا جسمانياً بل جوهراً مجرداً [2] » .

ومع أن الأشاعرة والمعتزلة اتفقوا على أن المعاد جسماني إلا أنهم اختلفوا في كيفية الإعادة فذهب جمهور الأشاعرة وبعض المعتزلة إلى أن الإعادة تكون عن عدم ، وذهب أكثر المعتزلة وبعض الأشاعرة إلى أنها تكون عن تفريق واستدل كل فريق منهم على مدعاه بأدلة ورد عليها الطرف الآخر إلا أننا لسنا في حاجة إلى

---

(١) محاضرات في علم التوحيد الشيخ / صالح شرف صـ٤٧ مكتبة الكليات الأزهرية .
(٢) ابن سينا بين الدين والفلسفة للاستاذ / حمودة غرابة صـ١٥٩ دار الطباعة والنشر الإسلامية .

ذكر هذه الأدلة لأنها لا تعنينا فى هذا البحث إنما الذي يعنينا هو الاستدلال على أن النعيم والعذاب للجسم والروح معاً وليس للروح فقط .

وقد استدل المتكلمون على إثبات المعاد الجسمانى بأدلة نقلية وعقلية :

أ - فالأدلة النقلية (هى العمدة عندهم) لأنها متعلقة بأمور غيبية : قال صاحب المقاصد : « الأولى التمسك بدليل السمع ، وتقريره : أن الحشر والاعادة أمر ممكن أخبر به الصادق فيكون واقعاً ، أما الامكان فلأن الكلام فيما عدم بعد الوجود ، أو تفرق بعد الإجماع ، أو مات بعد الحياة فيكون قابلاً لذلك ، والفاعل هو الله القادر على كل الممكنات ، العالم بجميع الكليات والجزئيات ، وأما الاخبار فلما تواتر من الأنبياء ، سيما نبينا محمد - ﷺ - أنهم كانوا يقولون بذلك ، ولما ورد فى القرآن الكريم من نصوص لا يحتمل أكثرها التأويل مثل :

قوله تعالى : ﴿ قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ [1] » [2] .

فالآية دالة على أن الله تعالى قادر على إحياء العظام البالية مرة ثانية كما أنشأها من عدم أول مرة ومعروف أن الإعادة أسهل من الإنشاء والإبداع ولكن هذا بالنسبة إلينا كبشر أما بالنسبة لله تعالى فالجميع يستوى بالنسبة لقدرته جل شأنه .

وقوله تعالى ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلي النار فهم يوزعون حتي

---

(١) سورة يس الآيتان : ٧٨، ٧٩ .

(٢) شرح المقاصد ٩٢/٥ (محقق) مرجع سابق .

إذا مــا جـاؤها شهد عليهم سمـعهم وأبصارهم وجلودهم بما كـانوا يعملون * وقـالوا لجلودهم لم شهـدتم علينـا قـالـوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴾ (١) .

فشهادة الأسماع والأبصار والجلود على أعمال أصحاب النار من أعداء الله فيه الدلالة على أن الحشر يكون بالأجسام وأن العذاب والنعيم يكونان للأجسام وليس للأرواح فقط .

فإن قال من يرى أن الحشر روحانى إن الآيات المشعرة بالحشر الجسمانى ليست أكثر ولا أظهر من الآيات المشعرة بالتشبيه ، وقد أولتموها بصرفها عن ظاهرها الغير مراد فلتصرف هذه الآيات الواردة فى المعاد الجسمانى إلى المعاد الروحانى بحيث تكون هذه الآيات كناية عن أحوال النفس من سعادتها أو شقاوتها بعد مفارقتها البدن ، وإنما جاءت هكذا حتى تكون مفهومة للعوام ؛ أى أنها من باب التقريب إلى الأذهان حتى يحدث التصور الكامل لمسألة الحساب وهذا أبلغ فى الردع أو الطمع فى الثواب .

فإنه يمكن الرد عليهم بأن تأويل الآيات إنما يجب عند تعذر الظاهر ، بحيث يخالف النص العقل ولا تعذر هنا ، بل العقل يقرر إمكان ذلك ولا يحيله ، ولو فتح باب التأويل على مصراعيه بدون داع لروج الباطل وخفيت الحقائق . ونسبت الأنبياء إلى الكذب فيما يتعلق بالتبليغ ، لذلك وضع للتأويل حد وقانون يضبطه وهو مخالفة

---

(١) سورة فصلت من الآية ١٩ إلى٢١ .

النص للعقل حينئذ يجوز تأويل الظاهر غير المراد بما يوافق العقل ولا يخالف الشرع [1] .

٢ – وأما الأدلة العقلية : فمنها :

أن اللذات والآلام التى يتعرض لها الإنسان منها ما يحصل للنفس مباشرة ومنها ما يحل لها عن طريق الجسم ، فالأول مثل اللذة التى تحصل للنفس من منزلة أدبية أو اجتماعية ينعش لها النفس وتطرب ، والثانى من مثل اللذات التى تحصل للجسم من مأكل ومشرب ومعاشرة ... وكذلك حال التكليف فقد كلف الشارع النفس مباشرة ، مثل التكليف بمعرفة الله تعالى والإيمان به جل شأنه ، وكلفها عن طريق الجسم مثل تكليفها بالصلاة والزكاة والحج والجزاء يكون من جنس العمل ، لذلك كان من الحكمة أن تعاد الأجسام مع النفوس لتأخذ كل نفس قسطها من الجزاء الروحى والمزدوج – أى الروحى والجسدى معاً – .

مما سبق يتضح أن النعيم والعذاب فى الآخرة إنما يكون للجسد والروح معاً وليس خاص بالروح فقط ، ويؤكد ذلك ما قرره القرآن الكريم حيث بين أن هناك لذات نفسية (روحية) وأخرى جسدية فمن اللذات النفسية قوله تعالى ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ [2] وقوله ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ [3] .

ومن اللذات الجسدية قوله تعالى ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون

---

(١) مذكرات فى التوحيد للشيخ صالح شرف صـ٧٩ مرجع سابق .
(٢) سورة التوبة من الآية : ٧٢ .
(٣) سورة السجدة : ١٧ .

بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدفون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (١) ونريد أن نؤكد حيقة هنا وهى أن الأشاعرة والمعتزلة وإن اختلفوا فى كيفية الأعادة هل هى عن عدم أم عن تفريق إلا أنهم اتفقوا على كيفية النعيم والعذاب وأن ذلك يكون للروح والجسد وليس للروح وحدها .

أما الذين أنكروا المعاد الجسمانى وقالوا بالمعاد الروحانى وهم الفلاسفة الإلهيين فقد احتجوا علي مدعاهم بأدلة من النقل وأخرى من العقل ، فاستدلوا بقوله تعالى ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلي ربك راضية مرضية ﴾ (٢) على أن المعاد روحانى وأن ما جاء فى القرآن والسنة مما يشير إلى المعاد الجسمانى إنما جاء كذلك لأن العوام لا يفهمون أمور المعاد إلا على هذا الوجه فخاطبهم الشرع بما يفهمونه ، لأن عقولهم تقصر عن معرفة الكمالات الحقيقية ، واللذات العقلية ، ولا تدرك إلا الأشياء الحسية من اللذة والألم والنعيم والعذاب .

ويؤيد هذا التفسير لكلام الفلاسفة ما قاله ابن سينا فى رسالة له أملاها فى المعاد حيث قال « ... ثم ترغيب الجمهور وترهيبهم بالثواب والعقاب ... وتصوير السعادة الثوابية لا بالصورة الإلهية الجليلة الفائقة التى هى عليها ، بل بالصورة

---

(١) سورة الواقعة من الآية : ١٧ – ٢٤ وينظر المرجع السابق صـ٧٨ .
(٢) سورة الفجر : ٢٧ ، ٢٨ .

المفهومة عندهم - أى عند الجمهور من العوام - المستحسنة لديهم من اللذة والراحة ، وتصوير الشقاء علي مقابلة ذلك ، وتقسيم اللذة إلى المبصرة والمسموعة والمشمومة والمطعومة ... والتناكحية واشباع القول فى أسباب كل واحد منها من حور العين ، وولدان مخلدين .. وغير ذلك ، أما العذاب فيما يضاد ذلك من السعير والزمهرير وغيرهما ؛ فإنه إذا لم يتمثل الثواب والعقاب الحقيقى - أى الخاص بالروح - البعيد عن الأفهام ، ولم يرغبوا ولو يُرهبوا لم يترشحوا للأمرين ، فوجب فى حكم السياسة الشرعية الشريفة تقرير أن البعث والنشور والثواب والعقاب علي هذه الوجوه »[1] .

وعلى نفس الدرب سار فيلسوف المغرب ابن رشد حيث صرح بأن البعث روحانى فقط وأن ما جاءت به الشريعة من التصريح بالنعيم والعذاب الجسمانى ما هو إلا تمثيل للجمهور والعامة من الناس لتقريبهما إلى الأذهان .

قال ابن رشد فى كتاب الكشف عن مناهج الأدلة : « فالشرائع كلها متفقة على أن للنفوس بعد الموت أحوالاً من السعادة أو الشقاء ويختلفون فى تمثيل هذه الأحوال وتفهيم وجودها للناس ويشبه أن يكون التمثيل الذى فى شريعتنا هذه أتم إفهاماً لأكثر الناس وأكثر تحريكاً لنفوسهم إلى ما هنالك ، والأكثر هم المقصود الأول بالشرائع وأما التمثيل الروحانى فيشبه أن يكون أقل تحريكاً لنفوس الجمهور إلى ما هنالك والجمهور أقل رغبة فيه وخوفا له منهم فى التمثيل الجسمانى »[2] .

فابن سينا وابن رشد يوضحان أن ماوردت به الشرائع من إثبات للبعث

---

(١) رسالة فى المعاد والرد على التناسخية لابن سينا لوحة ١٨٥ مخطوطة بدار الكتب تحت رقم ١٢٣٧ علم الكلام .

(٢) الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد صـ ٢٤٤ . مكتبة الأنجلو المصرية .

الجسمانى ما هو إلا تمثيل وتشبيه حتى يكون أقدر على تفهيم الجمهور والعامة من الناس ، وأقوى فى التأثير عليهم تحريكهم نحو قبول الشرائع والانقياد لها .

وإننى أرى أن فى ذلك نسبة الخداع والكذب إلى الله تعالى وإلى رسله الكرام وأنهم غرروا بالناس وكذبوا عليهم ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً كما أرى أن هؤلاء الفلاسفة أمثال ابن سينا وابن رشد ومن قال بقولهم قد جانبهم التوفيق بل أقول إنهم ضلوا الطريق فى هذه المسألة وأن كلامهم هذا مردود بما حكاه القرآن الكريم عن إبراهيم الخليل - ﷺ - حينما طلب الخليل من رب العزة أن يريه كيف يحيى الموتى فى قوله تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتي قال أو لم تؤمن قال بلي ولكن ليطمئن قلبي ... ﴾ [1] الآية . فهل كان إبراهيم الخليل من العوام حتى يوافقه الله تعالى على طلبه حيث إن رب العزة أراه كيفية إحياء الموتى على وجه مادى محسوس حيث قال ﴿ فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل علي كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ [2] مع أن الله تعالى اصطفاه من خلقه وجعله نبيه وخليله ؟!

وقد أورد الفلاسفة الإلهيين شبهاً متعددة فى نفى المعاد الجسمانى وقام المتكلمون بالرد على هذه الشبه إلا أن المقام هنا لا يتسع لذكرها .

وعلى أى حال فإن الفلاسفة مع إنكارهم للبعث الجسمانى وإثباتهم للبعث

---

(١) سورة البقرة : ٢٦٠ .
(٢) السورة السابقة .

الروحانى فإننى أرى أنهم أخطئوا فى هذه المسألة خاصة وأن النصوص القرآنية مصرحة بالبعث الجسمانى وأن النعيم والعذاب يكونان للجسم ولكنهم اجتهدوا فأخطئوا وهم يؤمنون بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لذلك يرى ابن رشد أنه لا يجب تكفير من ينكر البعث الجسمانى وإنما يجوز لنا أن نكفره إذا أنكر البعث كلية حيث يقول :

« والحق فى هذه المسألة أن فرض كل إنسان فيها هو ما أدى إليه نظره فيها بحيث ألا يكون نظراً يفضى إلى إبطال الأصل جملة وهو إنكار الوجود جملة ، فإن هذا النحو من الاعتقاد - إنكار وجود البعث أصلاً - يوجب تكفير صاحبه لكون العلم بوجود هذه الحال للإنسان معلوماً للناس بالشرائع والعقول »[1] .

وبعد فإن ما أجمع عليه المتكلمون أشاعرة ومعتزلة من أن المعاد جسمانى وأن النعيم والعذاب فى الآخرة يكونان للجسم ممكن وواقع وهو الحق وأنه ثابت بالشرع وأن العقل الإنسانى السليم لا يحيله .

هل فى الآخرة تكليف ؟

أما تكليف العباد يوم القيامة فهذا ما أجمع العلماء على خلافه لأن الآخرة دار جزاء وثواب وعقاب وليست دار تكليف قال القرطبى : « إن الآخرة ليست بدار تكليف وإنما هى دار جزاء : ثواب وعقاب »[2] فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار توقفت المحنة وتوقف الابتلاء وتنعم أهل الجنة بالجنة وعذب أهل النار بالنار . وهذا ما اتفق عليه جمهور المسلمين .

والله أعلم ،

---

(١) الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد صـ٢٤٦ مرجع سابق .

(٢) التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة صـ ٥١٤ مرجع سابق . وراجع شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار صـ٤٧٧ وما بعدها مرجع سابق .

الخاتمة

بعد هذا العرض لآراء العلماء فى الجنة والنار تبين لنا أن العلماء انصب خلافهم فى خمس قضايا رئيسية وهى :

١ - قضية وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان الآن .

٢ - هل الجنة والنار باقيتان أو تفنيان أو تبقى الجنة وتفنى النار ؟

٣ - ما هو مصير عصاة المؤمنين : هل هم مخلدون فى النار ؟

٤ - هل أطفال المشركين من أهل النار ؟

٥ - وما كيفية نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار : هل هى بالروح أو بالجسد ؟

واتضح من الدراسة السابقة أن أهل السنة والجماعة كانوا هم الأقرب إلى الصواب وإلى روح القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة حيث إنهم استندوا فى آرائهم إلى الكتاب والسنة ولم يلجأوا إلى تأويل هذه النصوص خاصة وأن هذه القضايا سمعية ولا مجال للعقل فيها .

ويمكن أن نجمل نتائج البحث فى النقاط التالية :

١ - أنه يجب الإيمان بالجنة والنار ومن ينكرهما يكون كافراً لأنه أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة .

٢ - أن الجنة والنار موجودتان ومخلوقتان الآن أعد الله تعالى الجنة للمتقين ، والنار للعاصين والكافرين .

٣ - أن الجنة والنار باقيتان ولا تفنيان أبداً وكذا أهلهما فأن أهل الجنة يخلدون فيها ، وأهل النار الذين هم أهلها من الكفار والمشركين خالدون فيها لا يزحزح عنهم العذاب وما هم منها بمخرجين .

٤ - أما عصاة المؤمنين فإنهم يمكثون في النار المدة التى كتبها الله عليهم على قدر معصيتهم ثم يخرجون منها ويدخلون الجنة خالدين فيها أبداً .

٥ - وبالنسبة لأطفال المشركين فالذى تطمئن إليه النفس هو تفويض أمرهم إلى الله تعالى فهو عالم بما كانوا عاملين ولا يُحكم لمعين منهم بجنة أو نار .

٦ - أما بالنسبة لكيفية النعيم فى الجنة والعذاب فى النار هل هما للروح أو للجسد فإن الراجح عندنا هو ما أجمع عليه المتكلمون أشاعرة ومعتزلة من أن المعاد جسمانى وأن النعيم والعذاب فى الآخرة يكونان للجسم وأن هذا أمر ممكن وأن العقل لا يحيله . وما ذهبت إليه الفلاسفة من القول بأن المعاد روحانى فإننا لا نستطيع تكفيرهم به كما فعل الإمام الغزالى وإنما الحكم بالكفر يكون فى حق من ينكرهما أصلاً وهذا ما ذهب إليه الفيلسوف ابن رشد لأن العلم بوجود الجنة ونعيمها والنار وعذابها أمر معلوم للناس بالشرائع والعقول فلا ينكره إلا كافر جاحد .

٧ - أنه لا تكليف فى الجنة ولا فى النار لأن الآخرة دار جزاء وليست دار ابتلاء وتكليف .

وبعد فإن القضايا السمعية ومنها الجنة والنار يجب ألا تترك للعقل يؤلها كيف يشاء بل إن المصدر الأساسى فيها هو كتاب الله وسنة رسوله حيث لا مجال للعقل فيها نظراً لقصوره عن الغوص فى أعماقها ومعرفة حقيقة أمرها .

والله الموفق .

ثبت بأهم مراجع البحث

* كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) .

- ابن سينا بين الدين والفلسفة ، للاستاذ / حمودة غرابة ، دار الطباعة والنشر بدون تاريخ .
- ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامى ، للدكتور / عوض الله جاد حجازى ، دار الطباعة المحمدية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٩م .
- أبو الفرج بن الجوزى وأرائه الكلامية والاخلاقية للدكتورة / أمنة نصير ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .
- اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ، طبع منير .
- الاعتبار ببقاء الجنة والنار للسبكى ت / دكتور الدسوقى حبيش .
- الانتصار والرد على ابن الراوندى لأبى الحسين الخياط ، دار النهضة الإسلامية بيروت ، لبنان ، ١٩٨٩م .
- إيثار الحق على الخلق لابن المرتضى اليمانى ، دار الكتاب الإسلامى ، بدون .
- البعث والنشور للإمام البيهقى ، مؤسسة الكتب الثقافية طبعة أولى ١٩٨٨م .
- التبصير فى الدين لأبى اسحاق الاسفرائينى ، الطبعة الأولى ، مطبعة الأنوار .
- التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبى ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، بدون .
- تفسير ابن كثير ، ط عيسى الحلبى ، بدون .
- تلبيس إبليس لابن الجوزى مطبعة منير ، بدون .

- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد فى شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن إبراهيم بن عيسى ، طبعة المكتب الإسلامى .

- حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م .

- حاشية الكلنبوى على شرح جلال الدوانى للعقائد العضدية ، دار سعادة ١٣١٦هـ .

- رفع الاستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار ، للصنعانى ، تحقيق الشيخ ناصر الألبانى ، المكتب الإسلامى طبعة أولى ١٩٧٤م .

- زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم ، حققه وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط ، عبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٩٤م .

- سنن النسائى ، المطبعة المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ .

- شرح الأصول الخمسة ، للقاضى عبد الجبار ت / دكتور عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ١٩٦٥م .

- شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية لأبى العز الحنفى ت / دكتور أحمد شاكر ، دار التراث بدون تاريخ .

- شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار للأصفهانى ، المطبعة الخيرية بمصر طبعة أولى ١٣٢٣هـ .

- شرح المقاصد لسعد الدين التفتازانى ت / دكتور عبد الرحمن عميرة طبعة عالم الكتب والكليات الأزهرية .

- شرح المواقف للسيد الشريف الجرجانى ، مطبعة السعادة طبعة أولى ١٩٠٧م .

- صحيح البخارى طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٢م .

- صحيح مسلم طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبى بدون تاريخ .
- العقيدة النظامية لإمام الحرمين الجويني ت / دكتور أحمد حجازى السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٩م .
- فتح البارى فى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهرى تحقيق د / عميرة ، د/المصرى ، ط دار الجيل ، لبنان ، بيروت ، بدون .
- الكشف عن مناهج الأدلة ، لابن رشد ، مكتبة الأنجلو المصرية .
- لسان العرب لابن منصور ، دار المعارف القاهرة ١٩٧٩م .
- مجموع الفتاوى الكبرى لابن تيمية جمع / عبد الرحمن محمد النجدى ، مطابع الرياض الطبعة الأولى .
- مذكرات فى التوحيد للشيخ صالح شرف .
- مذكرات فى التوحيد للشيخ محمود أبو دقيقة .
- مراتب الإجماع لابن حزم ، المكتبة العلمية ، بيروت ، بدون .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، طبعة الشعب ، بدون تاريخ .
- معارج القبول بشرح سلم الوصول لابن حكمى ، دار لبنان العربى ، بدون .
- مقالات الإسلاميين لأبى الحسن الأشعرى ت هيلموت كلوبفر .
- الملل والنحل للشهرستانى مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٧م .
- الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ، مكتبة المتنبى ، بدون .
- يقظة أولى الاعتبار - لصديق خان ، دار الأنصار ، القاهرة ١٩٧١م .

محتويات البحث